2272
.6119
.366

2272.6119.366
Maltawi
al-Marabbi

DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE

Princeton University Library
32101 072565383

المربي

تمهيد في التصوف
وأثر الأستاذ الكامل في تربية الروح

بقلم

حسن كامل الملطاوي

مراقب الاستيراد — وزارة المالية

الطبعة الأولى

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

al-Maltāwī. Ḥasan Kāmil

المربّي

al-Murabbī

تمهيد في التصوف
وأثر الأستاذ الكامل في تربية الروح

حسن كامل الملطاوي

مراقب الاستيراد — وزارة المالية

الطبعة الأولى

١٣٦٦ هـ — ١٩٤٧ م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الكتاب

الحمد الله رب العالمين ، خلق الإنسان فى أحسن تقويم ، وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة ، جلّ المنعم المتفضل فى الأولى والآخرة .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسوله المصطفى ، وإمام أئمة أهل الهدى والمثل الأعلى ، والأسوة الحسنة لمن أراد الآخرة وسعى لها سعيها ، واتبع الصراط السوى واهتدى ، وعلى آله وصحبه صفوة أهل الهدى ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد : فمن يوم أن يولد الإنسان فى هذه الحياة وهو فى حركة دائبة وجسمه يتحرك ودمه ينبض سواء فى نومه وصحوه ، وروحه فى حركة لا تسكن ، فى الصحو دائبة التفكير وفى النوم تسبح فى خيال لا ينقطع ، ومخ الإنسان مملوء بالسيال العصبى والحديث

CAIRO
2272
.6119
.366
2272
.61123
.366

النفسانى ، لايفيق منه إلا إذا صار جثة هامدة ، فالحركة الفكرية ديدن كل حى من بنى الإنسان .

ومن هذا الشعور يتربى الوجدان الذى يتميز به الإنسان عن سائر الحيوان ، والوجدان القوىّ له تأثير كبير فى الناس وشتى الموجودات فى الخير وفى الشر بمقدار مافيه من قوة وحيوية ، لذلك أرى أن الإنسان ابن شعوره ووجدانه .

والشعور يحصل مما يحيط بالإنسان من مرئيات الحياة وحاجاتها ، ثم يستعين الإنسان بالتفكير ليصل إلى غايته ، وتتربى عاطفته طبقا للرغبات الطيبة أو الأهواء النفسية ، وعند كل رغبة تكثر الخواطر و يشتد التفكير ، وهذه الخواطر إما أن يكون مصدرها إلهاماً من الله لبيان الصواب كما قال تعالى « هُوَ الذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ » أو يكون مصدرها الشيطان لتبرير غايات النفس ، والقلب يصدق هذا أو يكذبه ، وحسبه أن يكتسب عمله مما يملى من إرادته ، ومن ذلك تتربى العاطفة الخلقية فإما إلى سموّ وترقّ ، و إما إلى

رذيلة وانحطاط من لحظة إلى أخرى ، والروح ترقى أو تنحط تبعاً لسمو العاطفة أو انحطاطها .

لذلك نرى مخ الإنسان يغلى بالأفكار والخواطر ولا يستقر على حال ، ومن راقب أفكاره حتى يصفيها من خواطر السوء فهو الرجل الكامل ، ومن تركها تتخبط فى حبائل الشيطان وأحاديث النفس والشهوات فهو الرجل الناقص ، ولا يتميز الإنسان عن غيره من بنى جنسه إلا بسلامة التفكير وسمو العاطفة .

لذلك يجب على المرء أن يتيقظ لأفكاره وينظمها ولا يسمح لنفسه بأى تفكير ناقص ليسلم من النقص ، ومن باب أولى لا يجارى النفس فى حديث الشهوات ولا فى خواطر السوء لئلا يضيع السيال الفكرى فى هوى الرذيلة مع أنه مطالب أن يسير معه إلى سمو الملإ العلوى الذى هبطت روحه منه ؛ قال الله سبحانه وتعالى « إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً » ليصير المرء أخلاقيا ذا روح ملكية ، ولله در البوصيرى حين يمدح سيد المرسلين بقوله :

كرهت نفسه فلا يخطر السو ء على قلبه ولا الفحشاء

والخواطر والأفكار تنساب فى رُوع الإنسان وفؤاده انسيابا وتنصبُّ انصبابا، والقلب يفرزها و يأخذ منها مايريد ؛ فإن تركها الانسان بلا مراقبة ولا تدبر أصبح كَرُبَّان السفينة الذى تاه فى عباب البحر وهام على وجهه على غير هدى حتى يغرق .

وقد تهجم الأفكار والخواطر على الإنسان هجوماً شديداً وتغذيها رغبات النفس وأحاديث الشيطان، ويدافعها ولكن إرادته تخور أمامها و يُتبع نفسه هواها ، عند ذلك تفسد ملكة وجدانه ، وتسوء عاطفته نحو الخير، و يتعثر فى أذيال الخيبة ، و يقوى شيطانه عليه حتى يصير بلا إرادة، و يبوء بالخيبة فى الحياتين، ويصبح صدره ضيقاً حرجا ولا يتمكن من السيطرة على شعوره ولا تنظيم أفكاره، كما لا يستطيع السير إلى وجهة صالحة .

ولا يبلغ الإنسان قوة السيطرة على الفكر والخواطر وخلاص الوجدان بالتمنى ، فكم يتمنى صاحب الخواطر السيئة المخيفة أن لا تهجم عليه فيأرق منها الليالى ، وكم يتمنى أن ينام و يستريح

ولـكنه يبيت يتقلب فيهـا على فراشه فلا يجد منها فكا كا ، فيستغيث بالطبيب فلايعلله إلا بمخدّر يحول بينه وبين شعوره ثم يفيق بعد ذلك فلا يجد إلا زيادة فى سقم الجسد وكآبة النفس وانحطاط الوجدان إلى حالٍ أسوأ من الأولى .

والدواء الناجع هو الإيمـان بالله والتعرف إليه والتوكل عليه حتى يعافيه ببرد الرضا ونور اليقين والاطمئنان إلى حسن المصير الذى يتمناه كل حى كتب عليه الموت . وهذا لايخالط القلب دفعة واحدة ، ولايتم له كماله إلابالتربية والترويض، ولن تتربى فيه هذه الملـكة إلا بذكر الله سبحانه وتعالى ذكراً كثيراً ، ومناجاته جل شأنه فى السر والجهر حتى يستقيم الفكر ويهدأ السر ، ومن ذلك تقوى ملـكة مراقبة الله سبحانه وتعالى ويتعود المرء المحافظة على أوامره واجتناب نواهيه ، والاطمئنان إلى حسن وعده و بلاغ رسله ، وبذلك تقوى إرادته وتصفو أفكاره ويهيمن على خواطره ويرق وجدانه ، و يكون شعوره ملـكيا وضميره حيًّا ، وإلا عاد صدره ضيقا ، وتفكيره سقيما ، وشعوره مخبولا ، لذلك يقول الله

سبحانه وتعالى : « وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ » وقال سبحانه وتعالى : « وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى »

لذلك استعان أهل التصوف على تربية ملكاتهم بكثرة الذكر، وراقبوا خواطرهم مراقبة شديدة وحاسبوا أنفسهم على كل خاطر حتى لا يعلق بالقلب إرادة من خواطر السوء، وروّضوا أنفسهم على الطاعة وملازمة الصحبة الصالحة ، وحددوا أهدافهم فى محبة خالقهم والوصول إلى رضاه وجعلوا جلّ أمانيهم أن يفوزوا بالقربى عند لقاه ما دام مصيرهم إلى حياة غير هذه الحياة ورجوع إلى الله « يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ » .

وأيقنوا بقوله تعالى: «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ » فأخلدوا إلى الحقائق وعافوا الضلال ودار الغرور وتركوا المظاهر الخادعة إلى الحقائق الثابتة فارتقوا إلى صفات الملائكة وبلغ الكثير منهم مرتبة الضمير الحي والنفس المطمئنة ،

واستلذوا بمجالسة الله ومناجاته إذ يقول الله سبحانه وتعالى فى الحديث القدسى : « أنا جليس من ذكرنى » فتعلقوا بحب هذا الشرف السامى ، وأى شرف أعلى من أن يتشرف الإنسان بمجالسة خالقه ملك الملوك وجبار السموات والأرض ؟.

ولذلك تجنبوا مجالسة السفهاء « وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا . وإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا » وقد بلغ ببعضهم أن استوحش من الناس أجمعين وا كتفى بأنسه برب العالمين « أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ » وإذا خلا العبد بربه أفاض الله على قلبه من حنانه وعلمه علما ينسيه هموم الدنيا والآخرة ، وجعله سعيداً تعيش روحه فى الملإ الأعلى لايشعر بالناس ولايحتاج إليهم وهم عنه لاهون .

لذلك أعتقد أن الصوفى الصادق أسعد أهل زمانه ، «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيراً ».

وأحمد الله سبحانه وتعالى أن أنعم علىّ بميلادٍ فى بيت من بيوت التصوف ، فكان لى شرف الانتساب إليهم ولو لم أكن

أهلا للانضواء تحت لوائهم ، وكم حاولت أن أصفى نفسى من أدرانها فلم أبلغ ما ينبغى من الصفات الطيبة والخلق الصالح ، لأفوز بصدق صحبتهم ، ولكن آمل فى الله سبحانه وتعالى أن يعلمنى من أخلاقهم ، ويرزقنى الصلاح ببركة صحبتهم على الصدق ، فإن صاحبهم لا يخيب ، ومن لازمهم لا يضيع بمنِّ الله وكرمه .

وإن من هؤلاء المتصوِّفة الخلَّص ممن صاحبتهم فى طريق الحق والأخوة فى الله الأخَ الوفىَّ الأستاذ [حسن كامل الملطاوى] الذى كتب هذا الكتاب الجليل مختصرا فى التصوف وسيرة أستاذه يرجو به وجهَ الله سبحانه وتعالى وليُدلَّ به إخوانه على هذا المنهل العذب فى اختصارٍ ودقةٍ . وقد طلب منى أن أكتب تقديمة فزادنى شرفا بذلك ، ولكن قبل أن أقدمَ كتابه أرجو منه أن يسمح لى بتقديمه كما أعرفه وهو أشهر من التعريف عند عارفى فضله ليعرف من يقرأ هذا الكتاب كيف كتبه وأى حافز حفزه إلى كتابته .

فالأستاذ حسن كامل الملطاوى : ذو بركة ونور ، من عائلة

عريقةٍ تسكن ملطية من أعمال مغاغة مديرية المنيا غنية عن التعريف، ترعرع فى هذا البيت الكريم، فلم يسكن من صغره إلى اللهو كأولاد الأعيان بل كان ذكياً موهوبا مرادا من الله ليسير إليه راضيا، فعاف كل شىء إلا التعليم، فأرسله والده إلى المدارس الأميرية فكان أنجب مدرسته فى التعليم الابتدائى والثانوى والعالى إلى أن حصل على بكالوريوس التجارة، ولم يركن إلى ما حصل عليه من العلم، بل ظل يوالى القراءة والتعليم حتى بعد توظفه إلى أن حصل على ثقافة عالية دنيوية وأخروية لم تتوافر للكثير ممن تعلموا فى داخل البلاد وخارجها، وقد شهد له بتفوقه أعلام الاقتصاد حتى أفاد بذلك أمته فى جميع ما تولاه من المناصب.

وفى اعتقادى أن ما أعانه على بلوغ هذه المرتبة من الثقافة ورجاحة العقل وحسن التفكير وقوة التدبير والأمانة فيما يوكل إليه والصبر على الدراسة والطاعة إلاّ توجُّهه إلى الله سبحانه وتعالى، وملازمته للصحبة الصالحة من أول أمره، إذ انساق إليها بتوفيق الله سبحانه وتعالى فنال بذلك أيضاً ملكةً رحمانيةً وثقافةً دينيةً

عالية ، حتى يخيل إلى من يقرأ له أو يستمع إليه ، أنه درس علوم الدين وتفرغ إليها لم يتفرغ لسواها، ولقد قال لى مرة عالم كبير ممن كانوا يستمعون إليه: لا إخال هذا إلا أزهريا حادّ الذكاء قوى الفطنة ، فما الذى جعله يترك الأزهر و يشتغل بوزارة المال ؟ فما أن أخبرته بخبره حتى صار فى حيرة ودهشة وما عتم أن قال : هذا فضل الله يؤتيه من يشاء . فقلت له ياسيدى قال الله سبحانه وتعالى « واتَّقُوا اللهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللهُ » وكان العلم على عهد رسول الله ينصبّ فى القلوب والأفئدة من لدن الله بنظرة من رسول الله ؛ إذ كان يأتى الأعرابى من البادية فما أن يؤمن و ينظر إليه الرسول صلى الله عليه وسلم حتى يصير الأعرابى حكيما متفقها فى دينه ، والذاكر يجالس الله فكيف يكون جليس الرحمن جهولا ؟ بل يفتح الله عليه من العلوم ما يستعين به فى تصحيح دينه وتقويم أمور دنياه ، وهو الذى ألهم الخلفاء الراشدين تدبير أمور المسلمين فى الحرب والسلم وسياسة الناس، حتى ظل عملهم علما يتدارسه الناس والأمم جيلا بعد جيل .

وقد أخذ الأستاذ (حسن) العهد عن والدى فصاحبه بالأدب الجمّ وحسن الطاعة و إخلاص الطويّة والحرص على حسنِ الاقتداء، وكان والدى يُنزله من نفسه منزلة الأبرارِ، ومكان الصفوة الأولى من أحبابه الذين يجلهم و يحبهم حبا جما يفوق حبه أهل قرابته، وليس لدى هؤلاء القوم قرابة أسمى من الحب فى الله، والتعاطف والتراحم فى سبيل الله وقد شهد له بالأخلاق الكاملة والتخلق بآداب القوم والشرب من شرابهم، لذلك كان من وفائه لأستاذه أن كتب هذا الكتاب موجزا حتى كاد يبلغ حدّ الإعجازِ فى بيان طريق القوم، وأنه من واجب المسلم التحرى عنهم ومتابعة أهل الصدق منهم، وهو إن تكلم فإنما يتكلم عن ذوق و إيمان بما يقول، صافى الوجدان؛ لذلك جاء كتابه كتاب وفاء ودين وأدب، وما ذلك بكثير على من تخلق بأخلاقه وتهيأ له ما تهيأ لكاتبه، والجوهر النفيس لا يحتاج إلى ترغيب فيه، فقد فضح الباطل ونصر الحق، وأخلص النصيحة، وقرب الطريق لمن أراد اتباع السبيل السوى، وأوفى فى كتاب الوفاء كتابه هذا، بذلك أدعه للقارئ

يحكم له أو عليه ، فليس بمستطيع صاحب حق أن يحكم عليه أو لا يستبين الرشد فيه ، فجزاه الله عن المسلمين خير الجزاء، ونفع به العباد ، إنه سميع مجيب ؟

أحمد عبد المنعم عبد السلام
الحلوانى

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله وأستعينه وأستهديه لى ولإخوانى المسلمين ، وأصلى وأسلم على من جاءنا بالهدى ودين الحق ، سيدنا ومولانا محمد رسول الله الأمين ، الذى أرسله ربه رحمة للعالمين ، وجعله إمام الأولين والآخرين .

ثم أسترضى الله تعالى عن سادتنا الصحابة الكرام ومن حذا حذوهم من الصالحين على ممر الأيام ، أولئك الذين كانت قلوبهم متعلقة بالله مستنيرة بنور الهدى فى كل آن ، فنجوا بنورها من خوض غمرات الدنيا ، ورضوا بالدار الآخرة وهى خير وأبقى للذين يتقون .

و بعد : فقد ارتضى الله الإسلام دينا لعباده ، وأيده بالقرآن العظيم وجعله معجزة باقية أبد الدهر ، إذ لم يكن الإسلام دين إقليم واحد أو شعب واحد كغيره من الأديان التى سبقته ، بل هو الدين الذى اصطفاه الله للناس كافة إلى يوم القيامة .

وقد اقتضت حكمة الله لبقاء كلمة الإسلام وفضائله قائمة كما ينطق بها القرآن الكريم والسنة المطهرة أن يكون لها جنود من جنود الله فى الأرض يحفظون حدودها و يرفعون لواءها عاليا مهما اشتدت الفتن أو توالت على الإسلام والمسلمين الأحداث .

ومن أجلّ هؤلاء الجنود قدرا سادتنا الصوفية فقد زكوا أنفسهم لله بالعلم الصحيح والعمل الصالح وخلصوها من أدران العادات والمعتقدات الفاسدة المغايرة للدين الخالص ، وصانوا بذلك الفضائل الإسلامية غضة كما توارثوها عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم ، فتخلقوا علما وعملا بأخلاقهم المحمدية القويمة ودعوا الناس إليها ولم يفتتنوا بالحياة الدنيا وزينتها بل سعوا للآخرة سعيها وهم مؤمنون فكان سعيهم مشكورا .

وقد جهل بعض الناس رسالة الصوفية فعابوهم وأنكروا عليهم مسلكهم ظلما وزورا أو جهلا وغرورا ـ ولا عجب فالناس أعداء ماجهلوا ـ فمن قائل إن الصوفية بدعة لا أصل لها فى الدين ، ومن قائل إن الصوفية قوم كسالى متواكلون، ومن قائل إنهم غلاة متشددون وكل هذا بعيد عن الصواب . وسأحاول إن شاء الله أن أبين فى هذه الرسالة على قصرها شيئا من فضل هؤلاء السادة الأماثل، ولعلى أبلغ من ذلك المراد من إعطاء الناشئة الإسلامية فكرة صحيحة عن الصوفية وما تدعو إليه وما تؤديه للاسلام من خدمات فى تربية القلوب وإصلاح الأرواح .

وسأتدرج من كلامى عن الصوفية إلى ترجمة لأستاذى الجليل العارف بالله سيدى :

عبد السلام الحلوانى

ذلك الولىّ الصوفى الذى كان كوكبا مضيئا للسالكين فى عصرنا الحاضر . ولعلى فى تلك الترجمة أقوم له رضى الله عنه

ببعض الوفاء و إن كان دينه فى عنقنا متعذر الأداء ، وقد جاء فى نصيحة بعض الحكماء :

أطلق لسانك بالثناء على الذى أولاك حسن رغائب وغرائب
واشكره شكر الروض حياه الحيا كيما تقوم له ببعض الواجب

وأرجو ألا تخلو رسالتى هذه من بعض الفائدة لكل من طالعها من إخوانى المسلمين عامة والمتصوفة خاصة ، وأستغفر الله لى ولهم ، وأسأله تعالى أن يهدينا بهداه حتى لانضل عن سواء السبيل ؟

حسن كامل الملطاوى

١) ما معنى الصوفية ومتى وكيف نشأت ؟

جاء فى مقدمة العلامة ابن خلدون : الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة فى الملة ، وأصلها العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا ، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق فى الخلوة للعبادة ، وقد كان ذلك فاشيا فى الصحابة والسلف ، ولما عم الإقبال على الدنيا فى القرن الثانى وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبلون على العبادة باسم « الصوفية » و « المتصوفة » .

وجاء فى الرسالة القشيرية ما خلاصته : عُرف السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار « بالصحابة » وعرف أهل العصر الثانى الذين أدركوا الصحابة « بالتابعين » وعرف أهل العصر الثالث الذين أدركوا التابعين « بتابعى التابعين » وهؤلاء جميعا هم خير القرون . ثم قيل لخواص المؤمنين ممن لهم

شدة عناية بأمر الدين « الزهاد والعبّاد » ثم ظهرت البدع نتيجة لاتساع الفتوحات واختلاط العرب بالعجم فانفرد خواص أهل السنة المراعون أنفاسهم مع الله تعالى باسم التصوف واختصوا بهذا الاسم قبل المائتين من الهجرة .

وقال القطب الشعرانى : التصوف عبارة عن علم انقدح فى قلوب الأولياء حين استنارت بالعمل بالكتاب والسنة كما انقدح لعلماء الشريعة حين عملوا بما علموه من الأحكام .

ومن ذلك ترى أن الصوفية إن هى إلا إحياء لنهج السابقين الأولين من خواص المؤمنين الذين كانوا يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ويحذرون الآخرة ويرجون رحمة الله ، وقد شهد القرآن الكريم بفضل هؤلاء فى آيات كثيرة مثل قوله تعالى : « فِى بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ، رِجَالٌ لاَتُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ، لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَاعَمِلُوا

وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ واللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حسَابٍ »
وقوله : « ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا
فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ
بِإِذْنِ اللهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ » وقوله : « إِنَّ الْمُتَّقِينَ
فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ، آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ
ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ، كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ، وَبِالْأَسْحَارِ
هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ، وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ » .

وهؤلاء المتقون هم عنوان الفضل وفخر الإسلام ، وهم القدوة الصالحة فى دعوة المؤمنين إلى الخير بالموعظة الحسنة من أفعالهم وجهاد أنفسهم ، وهم مع ذلك لا يُعدَمون الحِكَمَ البالغة فإن ينابيعها تتفجر فى قلوبهم ويجريها الله سحرا حلالا على ألسنتهم وتشهد لذلك الأقوال المأثورة عنهم وستجدون بعضها فيما يأتى .

وهـذه الطائفة المباركة هى التى يعنيها الحديث الشريف المروى عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم « لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ

مِنْ أُمَّتِي قَائِمَةً عَلَى الْحَقِّ لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ وَلَا مَنْ خَالَفَهُمْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ » .

ولا عجب أن تختص الأمة المحمدية بمثل هذا الفضل وهى التى يخاطبها الله جل شأنه بقوله الكريم : « كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ » ويطلب إليها أن تتفرغ جماعة منها للدعوة إلى الخير فى قوله الكريم : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » .

٢) مم اشتق اسم الصوفية ؟

يقال رجل صوفى ، وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك بالاكتساب والتشبه بهم يقال له متصوف ، وللجماعة متصوفة .

وقال بعضهم : التصوف من الصوف ، وتصوف إذا لبس الصوف ، كما يقال تقمص إذا لبس القميص ، وذلك على اعتبار أن

القوم زهدوا ولبسوا الصوف فى الغالب ، ونسب البعض القوم إلى الصُّفَّةِ التى كانت فى مسجد سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يجلس تحتها فقراء الصحابة وضعافهم الذين انقطعوا للعبادة ، ونسبهم آخرون إلى الصف لأنهم فى الصف الأول بقلوبهم مع الله ، وقال قائلون إنهم منسوبون إلى الصفاء الذى هو ميزة القوم على حد قول القائل :

تنازع الناسُ فى الصوفى واختلفوا
قِدْماً وظنوه مشتقاً من الصوف
ولَسْتُ أنحل هـذا الاسم غير فتًى
صافَى فَصُوفى حتى سُمِّى الصوفى

والأظهر فى اسم « الصوفية » أنه كاللقب إذ لايشهد له قياس من حيث العربية .

٣) ما هى غاية الصوفية ؟

يهدف الصوفية إلى تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الإسلامية الصحيحة ، والمحبة الخالصة لله

والاشتغال به عما سواه لنيل السعادة الأبدية كما تدل على ذلك أقوالهم ، فقد وصف الإمام أبو محمد الجريرى التصوف بقوله : هو الدخول فى كل خُلق سنىٍّ والخروجُ من كل خُلقٍ دنىٍّ . ووصفه الإمام أبو القاسم الجنيد فقال : التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويُحْيِيَكَ به . ووصفه الإمام رويم بقوله : التصوف هو استرسال النفس مع الله تعالى على ما يريد . وقال الإمام الحراز : حقيقة القرب فقد حس الأشياء من القلب وهدوّ الضمير إلى الله تعالى .

٤) ماهى قواعد التصوف ؟

يقوم التصوف على قواعد خمس هى :

أولا — محاسبة النفس وصفاؤها :

جاء فى وصف المتقين فى القرآن «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ

الذُّنُوبَ إلاَّ اللهُ » ولايتأتى هذا الشعور إلا من محاسبة النفس واستشعار خطئها ، وقد جاء فى الحديث النبوى الشريف «حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا وَزِنُوهَا قَبْلَ أَنْ تُوزَنَ عَلَيْكُمْ» .

وفى هذا المقام أسوق حادثة طريفة وقعت فى أيام أمير المؤمنين العادل الرشيد سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وهى: أنه اختار بحسن فراسته فى الرجال إماما على جماعة ، فاشتكت الجماعة هذا الإمام إلى أمير المؤمنين بحجة أنه يصلى ثم يغنى بعدها فاستغرب أمير المؤمنين الأمر وسأل الإمام أحقا ما يقولون من أنك تصلى ثم تغنى ؟ قال نعم ياأمير المؤمنين ، قال ماذا تغنى؟ فأجاب أغنى فأقول :

وفؤادى كلما عاتبتُـه ... عاد للذات يبغى تعبى
لا أراه الدهرَ إلا لاهيـا ... فى تماديه فقد برَّح بى
ياقرين السوء ما هذا الصِّبا ... فنى العمر كذا فى اللعب
وشباب بان منى فمضى ... قبل أن أقضى منه أربى
نفس لا كنت ولا كان الهوى ... اتقى المولى وخافى وارهبى

فما كان من أمير المؤمنين رضى الله عنه إلا أن قال للشاكين: من كان منكم مغنيا فليغنّ هكذا ، وكيف لاينتصر أمير المؤمنين لهـذا الإمام الصالح ؟ وقد ضرب هو له ولغيره المثل الأعلى فى محاسبة النفس فى مثل قوله : والله لو أن جملا هلك ضياعا على شاطئ الفرات لحاسب الله عليه آل الخطاب .

ومحاسبة النفس هى خطوة كبيرة نحو إكساب الروح حساسية اللوم الباطنى ، وهو يوصل إلى التوبة ويتلوه تصحيح النفس من العلل والشوائب والغايات وسائر الآفات حتى الخواطر القلبيه ، فإن القوم يحاربونها باعتبارها عقبة فى طريق الصفاء . ولا تزال محاسبة المرء نفسه ترقى حتى لا تقف عند الأخطاء ، بل تتعدى ذلك إلى مهاجمة دفين الداء والتقصير فى الطاعة استنهاضا للهمة وأخذا للدين بقوة :

والنفس راغبةٌ إذا رغَّبتَها ... وإذا تُرَدَّ إلى قليلٍ تقنع

والنفس اللوامة نفس خيِّرة تهرع من الرذيلة إلى الفضيلة وإن تحمل صاحبها فى ذلك مرارة المجاهدة ، ولذلك وصف

أمير المؤمنين الرشيد الزاهد سيدنا الإمام على كرم الله وجهه المتقين بقوله « أَنفُسُهُمْ منهم فى عناء والناسُ منهم فى راحة » .

وقد قال أبو حفص وهو من أئمة الصوفية : من لم يتهم نفسه على دوام الأوقات ولم يخالفها فى جميع الأحوال ولم يجبرها على مكروهها فى سائر أيامه كان مغرورا، ومن نظر إليها باستحسان شىء منها فقد أهلكها ، وكيف يصح لعاقل الرضا عن نفسه و يوسف الصديق يقول « وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّى » .

وقال الإمام البوصيرى الجليل رضى الله عنه فى بردته المباركة :

والنفس كالطفل إن تهمله شب على
حب الرضاع و إن تفطمه ينفطم
فراعها وهى فى الأعمال سائمة
و إن هى استحلت المرعى فلا تسم
كم حسنت لذة للمرء قاتلة
من حيث لم يدر أن السم فى الدسم

ويعجبنى فى هذا المقام قول عالمنا الصوفى الفذ فضيلة الأخ الشيخ على عقل من فتوحاته الربانية المرتجلة وقد كنت أكتب بعضها عند إنشاده على مجالس الذكر المنيرة :

حاسبت نفسى لم أجد لى صالحا ... إلا رجائى رحمة الرحمن
ووزنت أعمالى علىّ فلم أجد ... فى الأمر إلاّ خفة الميزان
وظلمت نفسى فى فعالى كلها ... ويحى إذن من وقفة الديان
يا أيها الأيام إنى راحلٌ ... مهما يطل عمرى فإنى فان
يا رب إن لم ترض إلا ذا تقى ... من للمسىء المذنب الحيران ؟

ثانيا — قصد وجه الله تعالى :

ولا تخفى أهمية هذه القاعدة الأساسية فإنه لو قصد المرء بعمله الرياء مثلا حبط عمله لأن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيباً وإنما الأعمال بالنيات ويقول تعالى فى القرآن الكريم : « وَمَا أُمِرُوا إِلا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ » كما يقول: « أَلاَ لِلهِ الدِّينُ الْخَالِصُ » وأنزل فى مدح سيدنا الصدّيق الحازم الرشيد

رضى الله عنه « وسيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى الَّذِى يُؤْتِى مَالَهُ يَتَزَكَّى ، وما لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ولسَوْفَ يَرْضَى » . وامتدح تعالى سيدنا الإمام عليًّا كرم الله وجهه وسيدتنا فاطمة الزهراء رضى الله عنها وقصتهما معروفة فى قوله : « وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيرًا ، إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللهِ لَانُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً ولاَ شُكُورًا »

وقد قال الإمام العظيم سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : ليس شىء أشدَّ وأشقَّ فى العمل بالطاعة والذكر والتلاوة من ضبط النفس وحضور القلب وحفظ المعانى وإعطاء الحروف حقها ، مع إرادة وجه الله تعالى ، وهو موضع الإخلاص ، والعزيمة على العمل بها ، وبه يرجى وهو موضع الصدق ونهوض السر عن الدنيا وعن كل شىء سوى المولى وهو موضع النية .

واعلم أنه ما دام المرء مطمئنًّا إلى حسن قصده فى عمله فلا يضيره ما قد يتهمه به الناس بالباطل لأنَّ الله تعالى لايخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء ، والذى يُرْضِى اللهَ لا عليه

من عباده ، والمنصفون قليل . وليكن للسالك إلى الحق أُسْوَة فى الصبر على الأذى بسيد الورى وأفضل من وطئ الثرى صلى الله عليه وسلم .

ولنلاحظ أن الدين إنما شجع على الصدقة سرا والنفل سرا ، ليقوى فى المؤمن قصد وجه الله فى السر والعلانية فى كل ما يوفق إليه من فعل الخيرات ، وقد امتدح حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم سادتنا الأنصار بقوله لهم : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ وَتَقِلُّونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » أى إنهم يكثرون عند القتال ولا يدفعهم إليه إلاَّ وجه الله لاحبًّا فى الغنيمة والفخر .

وقد قال الصوفية : النيةُ عبودية القلب ، والأعمالُ عبودية الجوارح . وقال إمامُ الشريعةِ مولانا الشافعى رضى الله عنه حديث « إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ » يدخل فى نصف العلم .

ثالثا — الزهد فى الدنيا :

ويُقَوِّى هذه الظاهرة جهادُ النفس لأنها بطبعها تجنح إلى المظاهر الكاذبة الخادعة وتستحب العاجل على الآجل ، وجهادها

فى هذه الناحية إنما يأتى من تذكر الموت وفناء الدنيا وتيقن أنها ليست دار إقامة ، وأن قليلها وكثيرها إلى نفاد ، ويضرب المجاهد لنفسه المثل بمن مضى لتعتبر . وفى القرآن الكريم من الآيات ما فيه مزدجر لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

اقرأ إن شئت قوله تعالى: «وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ، وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ، وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ » وقوله : « لاَ يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِى الْبِلاَدِ، مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ » وقوله : « اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى الأَمْوَالِ وَالأَوْلاَدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِى الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا

إِلا مَتَاعُ الْغُرُورِ » إلى غير ذلك من الآيات البينات .

ولا يفوتك أن الله تعالى عرض على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحول له جبال مكة ذهبا ، فقال « لاَ يارب أجوعُ يوماً وأشْبَعُ يوماً ، أَجُوعُ فأَذْكُرُكَ وأشْبَعُ فأَحْمَدُكَ » وعندئذ قال له جبريل عليه السلام ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت .

ومن هنا تعلم أن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم هو خير من زهد من الزاهدين مع القدرة . أما الزاهد من عدم فكالعدم لأن الفتنة إنما تقع إذا ملكت اليدان « كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى » .

وقد سار أَجِلاَّءُ الصحابة على سنن حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الزهد حتى ضُرب بهم المثل فى ترقيع ثيابهم ، والصبر على عيش الكفاف مع بذل طائل الأموال فى سبيل الله .

ولا يخفى أَنّ إمامنا الصديق رضى الله عنه خرج عن كل ماله فى سبيل الله ، وأن إمامنا الفاروق رضى الله عنه خرج عن نصف ماله ، وأن إمامنا ذا النورين عثمان رضى الله عنه مدّ جيش العسرة

بعشرة آلاف دينار وسبعمائة بعير . وأن إمامنا أبا الحسنين عليًا كرم الله وجهه أوقف أمواله فى سبيل الله . ولو أن أنفسهم ـ حاشاها ـ أخلدت لحظوظها كعامة الناس لآثروا أنفسهم وأهليهم بهذه الأموال ولأنفقوها فى سد الشهوات ، ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأنهم سابقون بالخيرات بإذن الله . وقد قال المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى علامة زمانه فى وصف السادة الصحابة: كانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم، صبروا عنها حين فقدت ، وشكروا لله حين وجدت، وتصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين ، وامتثلوا فيها قول رب العالمين « وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ » ولذا قال الصوفية : الزهد ألا تفرح بموجود من الدنيا ، ولا تتأسف على مفقود فيها ، عملا بقوله تعالى « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » وقد قيل: من صدق فى زهده أتته الدنيا راغمة ، كما قيل : إن الله تعالى يعطى الزاهد فوق مايريد ، ويعطى الراغب دون ما يريد ، ويعطى المستقيم موافقة ما يريد . وقال إمام الشريعة مولانا ابن حنبل رضى الله

عنه : الزهد على ثلاثة أوجه : الأول ترك الحرام وهو زهد العوام . والثانى ترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص . والثالث ترك ما يشغل العبد عن الله تعالى وهو زهد العارفين .

رابعا - تو طيد القلب على الرحمة والمحبة للمؤمنين :

وصف تعالى المؤمنين بأنهم رحماءُ بينهم، كما خلع عليهم صفة الأخوّة فى قوله : « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ » والأخوّة تقتضى المحبة والرحمة، وهما يقتضيان التعارف والتودد والتزاور والفرح بما يسرّ، والتألم بما يضر ، وجلب المنافع ودفع المضار . وقد كان حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم يؤاخى بين المهاجرين والأنصار، وشبه صلوات الله وسلامه عليه المؤمنين فى توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم بالجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر ، وقد أثر عن إمامنا الفاروق رضى الله عنه أنه كان إذا نزل بالمؤمنين بلاء لا يضحك قط حتى يرتفع ذلك البلاء ، وقد حزن رضى الله عنه لموت إمامنا الصدّيق رضى الله عنه وقال مبرراً حزنه :

ذهب الذين أحبهم فعليكِ يا دنيا السلام
إنى رضيع وصالهم والطفل يؤلمه الفطام

وقد ورد فى الحديث الشريف « مَنْ لَمْ يَحْمِلْ هَمَّ المُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ » . وقال الإمام المبارك ابن حنبل رضى الله عنه : لو كان لى دعوة مستجابة لدعوت للوالى بصلاح الحال لأنَّ فى صلاحه صلاحَ الرعية .

وقد حثت السنة النبوية المطهرة على تعميم الدعاء للمسلمين لرياضة نفوسهم على التراحم والتماسك .

خامسا — التحلى بمكارم الأخلاق :

وهذه فى الواقع تجمع القواعد كلها . وقد أثنى الله تعالى على الأنبياء والمرسلين بنواحى الأخلاق من الصبر والشكر والحلم والصدق وغيرها ، كما وصف حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم بقوله (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) وفى صيغة الآية من التأكيد ما فيها .

ولا عجب أن يكون صلوات الله وسلامه عليه قدوة للمؤمنين وهو القائل « إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ » .

وقد قال المرحوم رفاعة بك رافع الطهطاوى فى كتاب مناهج الألباب : اتفقت الأخلاقُ والعوائدُ والشرائعُ والأحكامُ على أنّ مكارم الأخلاق منحصرة فى قوله صلى الله عليه وسلم « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » وأن هذا الحديث قاعدة عظيمة فى الدين لأن الرجل الصالح المستقيم الحال لا يقتصر على الكف عن فعل الشر ، بل يرى أن الحقوق الواجبة عليه فعل الخير والمعروف ، فمن لم يضع المعروف فى موضعه مع التمكن منه لا يعدُّ صالحا . فالاستقامة تنهى عن الشر ، والصلاح يأمر بالخير . ثم أورد رحمه الله لبعض الحكماء قوله :

كلُّ الأمورِ تبيدعنك وتنقضى ... إلا الثناء فإنه لك باق

لو أننى خيرت كل فضيلة ... ما اخترت غير مكارم الأخلاق

وقال آخر :

ليس دنيا إلا بدين وليـ ... ـس الدين إلا مكارم الأخلاق

إنما المكر والخديعة فى النا ... س هما من خصال أهل النفاق

وقد وصفت السيدةُ عائشةُ أم المؤمنين رضى الله عنها خُلقَ سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم فقالت « كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه » ، والقرآن يحث المؤمنين على اقتفاء أثر حبيبنا المصطفى صلى الله عليه وسلم والتخلق بأخلاقه العالية فى مثل قوله : « قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ اللهُ » وفى مثل قوله : « لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا »

وقد قال الإمام زروق رضى الله عنه : أصول الخير ثلاثة : التواضع ، وحسن الخلق ، والنصيحة . فالتواضع تتبعه ثلاث : الإنصاف من نفسك ، وترك الانتصاف لها ، وخدمة المؤمنين . وحسن الخلق تتبعه ثلاث : العدل فى الرضا والغضب ، والقصد فى الفقر والغنى ، والخشية فى السر والعلانية . والنصيحة تتبعها ثلاث : العمل الصالح ، والعلم الصحيح ، واتباع الحق فى كل حال .

٥) سبيل الصوفية فى نشر مبادئهم

بينت فيما تقدم أن الصوفية يهدفون إلى تزكية النفوس وتعمير الظاهر والباطن بالآداب الإسلامية الصحيحة ، والتعلق بالله على أساس الدين الخالص؛ وللوصول إلى هذه الغاية يعمِدون إلى الأخذ بالأسباب الآتية :

(ا) **التواصى بالحق** : ومعلوم أن المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، والتواصى بالحق صفة عالية من صفات الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وقد نوه القرآن الكريم بهذه الصفة ، ومن حكم الصوفية المأثورة فى هذا المقام قولهم : نفسك إن لم تَشغلها بالحق شغلتك بالباطل .

(ب) **البيعة** : وللتوصل إلى التواصى بالحق بهمة وصدق عزيمة يبايع المتابع منهم إماما أرشد منه فى أمر الدين على طاعة الله ورسوله و يتخذه أستاذاً يأتمر بأمره و يكون هذا الأستاذ قد استرشد من قبله بإمام آخر ، وهكذا إلى أن يصل الاتباع إلى سادتنا

الصحابة فسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

والبيعة أمر شرعى ثابت فى الدين من أفعال سيدنا رسول الله وأقواله، وقدثبتت بالقرآن الكريم مبايعته لأصحابه تحت الشجرة وهذا لاينافى سابق إيمانهم بل يؤكده ويوثقه ، وامتدح الله تعالى هذه البيعة ورضى عن المبايعين ، كما بين خطر البيعة وأن مبايعة سيدنا رسول الله هى مبايعة الله « فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيماً » .

كما ثبتت بالقرآن الكريم مبايعة المؤمنات لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وثبت أن البيعة كانت تحصل بإعطاء اليد وقبول الميثاق الذى يأخذه سيدنا رسول الله على المبايع ، يدل على ذلك ما فعله سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه فى بيعة الشجرة وضع يده اليسرى على يده اليمنى الشريفة وقال وهذه يد عثمان حيث كان فى مكة يفاوض أهلها على الصلح .

ونخرج من هذا بالنتائج الآتية :

أولا — أن البيعة على الطاعة أمر شرعى من سنة سيد المرسلين و إن سبقها إيمان المؤمنين، فهى تجديد للعهد وتقوية للرابطة وتذكير بالميثاق الدينى ، ولذلك يقول صلى الله عليه وسلم « مَنْ بَايَعَ إِمَاماً أَعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ فَلْيُطِعْهُ إِنِ اسْتَطَاعَ »

ثانيا — أن المبايعة تكون باليد ظاهراً ولكن ينبغى أيضا أن يصاحبها صدق القلب باطنا بدليل قوله تعالى فى امتداح بيعة الشجرة « فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ » . والقلوب المجتمعة بصدق هى التى تصاحبها بركة الجماعة التى على قلب واحد . أما الجماعة المتحدة بظاهرها والمتفرقة بقلوبها — نعوذ بالله منها — فيكفى ذما لها قوله تعالى فى المنافقين « تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى »

(ح) **الصحبة** : وقد ثبت أيضا أن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى حياته الشريفة يرسل الرسل والسرايا ليبثوا الدين وتعاليمه فى الجهات النائية عن مركز الرسالة ، وكان يؤمِّر عليهم أميراً يكون إماما لهم يسترشدون به و يرجعون إليه فى أمر دينهم ، ومن ذلك مثلا أنه أرسل سيدنا مصعبا رضى الله عنه

إلى أهل المدينة قبل أن يهاجر صلوات الله عليه إليها ، وكما أرسل سيدنا معاذ بن جبل رضى الله عنه إلى اليمن .

ومن هنا نعلم أن إمامة الرجل الرشيد الصادق فى دينه لاخوانه المؤمنين أمر أساسى فى الدين من زمن سيد المرسلين لأن العلم بالتعلم، ومن شأن هذا الاتباع أن يبعث فى قلوب الإمام والمأمومين المحبة فى الله بحسن التعلم وصدق الاتباع .

وهذه هى الصحبة التى يدعو إليها الصوفية جيلا بعد جيل ، وقد قال إمامنا الشاذلى رضى الله عنه : أوصانى حبيبى فقال : لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله ، ولا تجلس إلا حيث تأمن من معصية الله، ولا تصحب إلا من تستعين به على طاعة الله، ولا تصطف لنفسك إلا من تزداد به يقينا .

ومن حكم المرحوم شوقى بك فى هذا المعنى قوله :

أُسَاةُ جِسْمِك شَتَّى حينَ تطلبهم
فَمنْ لروحـك بالنُّطْسِ المُـدَاوِينَا

وكما أن الشرّ يعدى فكذلك الخير يتعدى ، ولا ينكر عاقل ما للوسط من أثر فى النفوس ، غير أن حسن الاختيار فى الصحبة مطلوب والتدقيق فى اتخاذ الإمام واجب ، والمقياس الصحيح الذى يقاس به الإمام هو مقياس الشرع ، ولذا قال الإمام الجنيد رضى الله عنه : من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث لا يقتدى به فى هذا الأمر لأن علمنا هذا مقيد بالكتاب والسنة ؛ وقد حذر الإمام سهل رضى الله عنه من صحبة ثلاثة أصناف : الفقراء المداهنين ، والمتصوفة الجاهلين ، والجبابرة الغافلين . وقد قيل : عليك بصحبة من يعظك بلسان فعله أكثر مما يعظك بلسان قوله .

وعلى المتابع بعد أن يختار إمامه الرشيد أن يلتزم فى متابعته الصدق والإخلاص والهمة ويعتبره والدروحه ويطلب مرضاة الله فى طاعته أو لست تسمع لقول الله تعالى على لسان سيدنا موسى الكليم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم « قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رَشَداً ، قَالَ إِنَّكَ لَنْ

تستطيع معى صبراً، قال ستجدنى إن شاء الله صابراً ولا أعصى لك أمراً » وقد جاء فى الحديث الشريف « مَنْ عَامَلَ النَّاسَ فَلَمْ يَظْلِمْهُمْ وحَدَّثَهُمْ فَلَمْ يَكْذِبْهُمْ ، وَوَعَدَهُمْ فَلَمْ يُخْلِفْهُمْ فَهُوَ مِمَّنْ كَمُلَتْ مُرُوءَتُهُ وظَهَرَتْ عَدَالَتُهُ وَوَجَبَتْ أُخُوَّتُهُ وحَرُمَتْ غِيبَتُهُ » وكما يلتزم التابع حسن الصحبة مع أستاذه يجب عليه بالمثل أن يلتزم حسن مرافقة إخوانه الذين يتتلمذون على أستاذه وحسنَ معاملته سائر المؤمنين ، فلا يتعصب لأستاذه أو لفريقه إذ لا يتعصب فى دينه إلا أحمق أو جاهل .

وربما عرض للإنسان من نفسه: هل صحبتى للأستاذ ضرورية ما دمت آمنت بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء خيره وشره؟ ثم ألا يكفى أن أتفقه فى دينى على هذه العقيدة وأصلى وأصوم وأزكى وأحج كما أرشد الشرع ؟

فأقول جوابا على هذا وبالله التوفيق :

ما من كمال إلا وفوقه ما هو أكمل ، وقد ورد فى الحديث الشريف : « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا »

وعلى المؤمن الموقن المتفقه فى دينه والقائم بحدوده أن يسعى لتزكية نفسه لتزداد رقيا فى إيمانها و يقينها درجاتٍ بعد درجات لأنه بهذا الاستعداد الجميل يكون مهيئا لكسب الكمالات ومضاعفة الثمرات ولا يكون هذا إلا بمتابعة أستاذ أقوى منه رُوحا وأكثر منه فى الدين إحسانا . فإذا اكتفى بمرتبته الأولى ولم يحاول بعدها مزيدا من الخير يكون كمثل رجل يريد أن يعيش فى دنياه بالكفاف من الخبز القفار و يقول : يكفينى أن أعيش فلا يطلب ما هو أدسم وأنفع لجسمه وأعود بالقوة عليه ، ولا شك أن المؤمن القوى أنفع من المؤمن الضعيف وإن كان فى كلٍّ خيرٌ . وكما أن للجسم أغذية متفاوتة فكذلك للروح أغذية متفاوتة فمن طلب الخسيس عاش ضعيفا ومن طلب الهنىّ عاش قويا . وقد قال بعض الحكماء :

من يستطيع بلوغ أعلى رتبة ما باله يرضى بأدنى منزل

ولا يخفى أن مراتب الدين تتدرج من الإسلام إلى الإيمان إلى الإحسان ، و يشهد لذلك القرآن الكريم كما تشهد به السنة الشريفة ، انظر إلى قوله تعالى : « قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ

تُؤْمِنُوا وَلَـٰكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ » ثم إلى حديث الإسلام والإيمان والإحسان حيث أجاب سيدُنا رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريلَ عليه السلام حين سأله ما الاحسان ؟ « الْإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ » .

وينبغى أيضا أن يلاحظ أن الإيمان درجات يزيد وينقص، وقد قال بهذا الإمام البخارى حيث قال: حضرت العلم عن ألف وثمانين شيخا كلهم أجمعوا على أن الإيمان علم وعمل يزيد وينقص ، ويؤيد القرآنُ الكريم ذلك فى آيات كثيرة .

ونخرج من ذلك بأن العلم بالدين مطلوب ولازم شرعا ولكن لابد لمن يريد العزة فى دينه أن يطلب إلى جانب العلم التربية الصوفية العالية التى تقوّى روحه فى الدين، وإن عاش بالعلم والعمل القليل وحدهما ولم يسع فى صقل روحه على يد أستاذ عارف من عباد الرحمن كان ضعيفا فى همته فاترا فى عزمه راضيا بالدنىّ دون السنىّ فى دينه وتعرّض فى ضعفه هذا لغواية الشيطان . وقد قالوا: إن الذى لا يأخذ عن أستاذ يكون كالشجرة التى تنبت بنفسها فهى تورق

ولـكنها لا تثمر . وإذا كان المرء لا يقنع بالقليل فى دنياه فـكيف يرضى بالقليل فى دينه وهو أعز وأبقى ؟.

ولابد للانسان من مربّ يعينه على نفسه وشيطانه وناصح مأمون النصيحة عرف مسالـكهما يستعين به على سلوك طريق الهدى بالقول والعمل .

وقد أخذ سادتنا الصحابة التربية العالية عن سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه ، وقد غمرتهم أنواره غمرا ، فلانت قلوبهم بعد قسوتها، وخشعت أرواحهم بعد جموحها، وقد كان يجلس إليه صلى الله عليه وسلم البدوىّ الجلف فلا يقوم من مقامه حتى يصير ملـكا رحيما بعد أن كان شيطانا رجيما . وليس هذا بالعلم وحده بل بالتهذيب الروحى والنور القلبى، فالعلم يبدد ظلمات الجهالة من العقل ، والنور يبدد آفات القساوة من القلب « وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ».

وقد كان الصحابة رضوان الله عليهم يذوقون من حلاوة القرآن ما لانذوق، وكانت تقشعرّ منه جلودهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله . فما لنا لانحس بإحساسهم والقرآن لم يتغير؟

الجواب على ذلك ليس بعسير ، فالقلوب تغيرت والنفوس تكدرت والأرواح صدأت فصرنا نضحك حيث كانوا يبكون ونمزح حيث كانوا يجدُّون وننام وكانوا قليلا من الليل مايهجعون . أو ليسوا هم الذين اغتربوا عن أوطانهم وأهليهم وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله ؟ أو ليس منهم الذين ضاقت عليهم أنفسهم وضاقت عليهم الأرض بما رحبت حين تابوا من تقصير وقع ؟ أو ليسوا هم الموصوفين بالوصف الخالد « رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ » ؟ أو ليسوا هم الذين كانوا « يُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ » فأين نحن من هذه الصفات وأمثالها؟

على أنك تلاحظ أنه مع امتياز الصحابة رضوان الله عليهم فى أحاسيسهم القلبية وأنوارهم الروحية فإنهم كانوا يحرصون على الاجتماع بسيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ففازوا بخير صحبة عرفها بنو آدم . وقد ندد الله بمن لم يحرص على هذه الصحبة فقال : « إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ

وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ، وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ » .

وقد أثنى الله على آداب سادتنا الصحابة فى صحبتهم بسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه فقال : « إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ » .

وقد كان صلوات الله وسلامه عليه يحبب إليهم صحبة بعضهم البعض، فآخى بين المهاجرين والأنصار، وكان الواحد منهم يرث أخاه فى الدين حتى نسخ ذلك بأولى الأرحام . وكان ذلك لتعويد المؤمنين على التعاون على البر والتقوى بصدق ومحبة وأخوّة حقة. وأنعِمْ بأخوّة الدين من أخوة . والاسلام دين لا يعرف الشعوبية ولا يدعو بدعوى الجاهلية بل يسوى فى الدين بين العربى والعجمى والشرقى والغربى ولا يفضل أحدهما على الآخر إلا بالتقوى .

(د) **ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى** : أجمع العارفون من أهل التقوى على أن ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى : يصقل القلوب

ويوقظها من غفلتها ، ويكسبها صفاتٍ عاليةً فى الدين لاتتأتى لها من غيره فوق أنه يعالجها من أمراضها التى تسبب لها الكدورة وتورثها البلادة كالعجب والرياء والحقد الخ . ومن شأن هذه الأمراض الباطنة أن تسدل حجبا على القلوب فتعكر عليها نور الإيمان وصفاءه كما تعكره المعاصى سواء بسواء

ـ والجمر يوضع فى الرماد فيخمد ـ .

لذلك أرشدوا تابعيهم إلى ذكر الله والإكثار منه سراً وجهراً ليجمعوا القلوب على الله ، كل بحسب مذاقه وفتح الله عليه ، وكانوا هم قدوة صالحة لهؤلاء التابعين فآتت دعوتهم أطيب الثمرات وهى دعوة بالعلم والعمل لا بالقول والجدل وقد قال الامام الجنيد رضى الله عنه : ما طلبنا التصوف بالقيل والقال والمراء والجدال ، بل طلبناه بالجوع والسهر والأفعال .

وقد كان من أثر العلم والعمل بإخلاص أن أوتى هؤلاء الأكابر الحكمة «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً» فلقنوها لتابعيهم وهدوا بها من الضلال وعصموا بها من الفتن وصارت نورا يستضاء به على ممر الأجيال، ولاعجب فقد قال سيدنا

رسول الله صلى الله عليه وسلم « مَنْ عمِلَ بِمَا عَلِمَ ورَّثَهُ اللهُ عِلْمَ مَالَمْ يَعْلَمْ » كما جاء فى الأثر عنه صلوات الله وسلامه عليه « إذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ أُوتِيَ زُهْدًا فى الدُّنْيَا ومَنْطِقًا فَاقْتَرِبُوا مِنْهُ فَإِنَّهُ يُلَقَّنُ الْحِكْمَةَ » .

و تأييدا لصدق دعوة هؤلاء الأئمة المرشدين ظهرت على أيديهم خوارق العادات وهى ماتعرف « بالكرامات » ليربط الله بها على قلوب تابعيهم و إن كانت هذه الكرامات ليست شرطا فى صحة إمامتهم ؛ بل الشرط اللازم والأهم هو اتباع الكتاب والسنة بإخلاص . ولذاقيل للإمام المرتعش رضى الله عنه : فلان يمشى على الماء ، فقال عندى من مكّنه الله تعالى من مخالفة هواه فهو أعظم من المشى فى الهواء . و يلاحظ أن كرامة الولى معجزة للنبى صلى الله عليه وسلم لأن الله يكرمه بها بسبب اتباع شرعه بهمة وصدق . وقد رأينا من أستاذنا رضى الله عنه بل ومن إخواننا شيئا كثيرا جدا لا ينكره إلا المكابرون .

ولصدق هؤلاء الأكابر مع الله ينفذ الله دعوتهم إلى قلوب

تابعيهم فتنقاد طائعةً لهم وتتشرب مبادئهم وتزدهر على أيديهم فينضج من تابعيهم من يكون قدوة لغيره فتتوارث دعوتهم جيلا بعد جيل وذلك من آيات الله فى حفظ دينه القويم « وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ » .

٦) كيف تختار أستاذك ؟

أما وقد قدمت لك ما تأخذ منه فكرة عن الصوفية وما يدعون إليه فإنى على ضوء ما قدمت أبين لك بإذن الله كيفية اختيار أستاذك من بينهم إن كنت ترجو الله واليوم الآخر وتذكر الله كثيراً .

راع أن يكون أستاذك صوفيا أو متصوفا منتهيا ، وقد عرَّفه ابن الجوزى فقال : المتصوف المنتهى هو ذلك الذى يربيه الحق من صغره فتراه فى الطفولة معتزلا عن الصبيان كأنه فى الصبا شيخ ينبو عن الرذائل ويفزع من النقائص ، ثم لا تزال شجرة همته تنمو حتى يرى ثمرها متهدلا على أغصان الشباب فهو حريص على العلم

منكمش على العمل ساع فى طلب الفضائل خائف من النقائص، ولو رأيت التوفيق والإلهام الربانى كيف يأخذ بيده إن عثر و يمنعه من الخطأ إن همّ و يستخدمه فى الفضائل و يستر عمله حتى لا يراه منه — فلو تصورت النبوة تكتسب لدخلت فى كسبه .

وأنت ترى من هذا أن الأستاذ لا يتأتى إرشاده النافع لغيره إلا باستعداد فطرىّ فيه وبعناية إلهية تواتيه فيختصه الله بفضله ويجعله ميسرا لما خلق له من توجيه الخلق إلى الحق بالعلم والعمل وسطوة النور القلبى الذى يمشى به فى الناس .

وقد تقول : وكيف لى أن أراعى استيفاء الأستاذ لهـذه الصفات وأنا أصغر منه سنّا ولم يتيسر لى تتبع حياته منذ نشأته ؟ فهاك بعض نصائح تعينك على حسن اختيار الأستاذ :

(١) يمكنك أن تراعى فى الأستاذ الذى تتخذه إماماً لك فى تربيتك الصوفية توافر شروط خمسة هى كما بينها أهل الرشد : ذوق صريح ، وعلم صحيح ، وهمة عالية ، وحالة مرضية ، و بصيرة نافذة . ومن العلامات الدالة على توفرها : السخاء، وحسن الخلق،

والشفقة على خلق الله، وعدم الانكباب على جمع الدنيا، ومجانبة الدعوى، وعدم الشكوى من ضيق العيش أو إعراض الناس، وانكسار قلبه مع الله، وظهور البركة والصلاح فى أتباعه (وليس من لازمه الكرامات والإخبار بالغيب) .

(ب) يمكنك أن تقتدى فى اختيار الأستاذ بغيرك ممن تثق بصدق دينه وحسن إدراكه من إخوانك المؤمنين، خصوصا من هم أغزر منك علما بالدين، وأكثر فيه رشداً؛ فإن هؤلاء لايتخذون إمامهم إلا بعد التثبت من أنه أهل لإرشادهم فى سلوكهم إلى الله .

(ح) تسأل الله فى سرّك وجهرك أن يدلك على الأستاذ فإنه تعالى إذا علم صدق العبد فى دعوته أجابه وأعانه ويسر له سبيل الرشاد .

ومن المفيد أن أنقل لك ما قاله الإمام أبوعلى الثقفى الصوفى: لو أن رجلا جمع العلوم كلها وصحب طوائف الناس لايبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ أو إمام مؤدب ناصح، ومن لم يأخذ

أدبه من أستاذ يريه عيوب أعماله ورعونات نفسه لايجوز الاقتداء به فى تصحيح المعاملات .

٧) من هو أستاذى ؟

بعد هـذه المقدمة الموجزة يطيب لى أن أسعد بتعريف إخوانى المؤمنين بأستاذى الفاضل الكامل الهادى الرشيد قدوتى إلى الله وذخيرتى عنده ، العارف بالله سيدى السيد [عبد السلام] الحلوانى لقبا، الخليجى بلدا، الشافعى مذهبا، الخلوتى البيومى طريقة.

(ا) اسمه وألقابه :

هو السيد أحمد عبد السلام الحلوانى الذى اشتهر فى صغره بأحمد الراضى، وعرف بين الناس باسم السيد عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه .

(ب) مولده :

وقد ولد رضى الله عنه بقرية رأس الخليج مركز شربين

مديرية الغربية فى يوم ٢١ رمضان من سنة ١٢٩٢هجرية فى بيت علم وشرف وصلاح متوارث ، وكان رضى الله عنه يحيى كل عام ليلة ميلاده بدعوة جميع الإخوان إلى طعام الإفطار و يسميها ليلة الشكر و يخدمهم فيها بنفسه وينتقل بينهم يؤانسهم و يؤا كلهم على كثرة الموائد الممدودة .

(ح) أبوه :

أما أبوه : فهو العلامة العارف بالله سيدى أحمد بن أحمد ابن إسماعيل الحلوانى الخليجى الشافعى الخلوتى صاحب التآليف الجامعة التى جاوزت الستين فى علوم الدين واللغة والتصوف . وقد كان آية زمانه و إمام وقته فى الدعوة إلى الله ، وقد توفى رضى الله عنه فى سنة ١٣٠٨هجرية، وما تزال تآليفه مرجعا لفحول العلماء وأكابر العاملين . ولله در المرحوم حفنى بك ناصف إذ يقول مشيرا إلى بعض فضله، وقد كان رحمه الله من تلاميذه :

أى فن ليس فيه مفرداً أو سباق لم يحز فيه السباق
سله عما شئت فيما شئته وتعجب بعد ذا مما يساق

وتجد لهذا الإمام الجليل ترجمة وافية فى رسالة لحفيده المبارك التقى السيد [أحمدعبد المنعم الحلوانى] نجل أستاذنا المترجم له اسمها [طريق الحق ومبادئ السلوك إلى ملك الملوك] .

(د) نشأته :

وفى كنف والده الإمام الجليل نشأ سيدى وأستاذى المبارك، فحفظ القرآن والمتون على يد عمٍّ له، وتفقه علما وعملا على يد والده كما أخبرنى رضى الله عنه، وكان أبوه يلمس فيه النجابة والصلاح، و بشره بنور بصيرته ، بأن شأنه سيعلو فى الدين وقال له «عبدالسلام شيخ الإسلام » وذكر لى رضى الله عنه أن شيخ أبيه سيدى عمر بن جعفر الشبراوى قطب عصره كان مرة فى زيارة أبيه فلمحه بين الصبيان فلاطفه وأعطاه قرشا وقال له خذ هذا واحفظه عند والدتك ولا تضيعه، وكان سيدى عمر رضى الله عنه بتلك المنحة يبشر أيضا بما سيكون لأستاذى العظيم من فضل فى مستقبله ، وهو ما كان بحمد الله .

وقد لقنه أبوه العهد من صغره على الطريقة الخلوتية ، و بعد أن حفظ القرآن والمتون أرسله فى طلب العلم إلى الأزهر الشريف إلا أن المنية عاجلت والده فى سنة ١٣٠٨هـ فرجع إلى بلده واشتغل بزراعة أطيانه التى ورثها عنه وجدَّ فى دينه كما جدَّ فى دنياه فبسط له الله عيش الدين والدنيا معا ، فأنفق من ماله كثيرا فى سبيل الله ، وخدم إخوانه الخلوتية ، وكان قدوة طيبة لهم فى الهمة فاجتمعوا عليه وانتفعوا من صحبته واعتقدوه . وأخبرنى رضى الله عنه أنه كان يواظب على قراءة ورد سحر قبل الفجر .

ثم التحق بوظيفة فى الدائرة السنية وعرف بين أقرانه من الموظفين بالتقوى والصلاح فاعتقدوه كذلك وانتفعوا من ملازمته، وروى لى رضى الله عنه أن رئيسا له حينئذ شكا له من استعصاء علاج حرمه من مرض أصابها فقرأ سيدى شيئا من القرآن بنية شفائها فشفيت فازداد رئيسه تعلقا به واستمساكا بالعقيدة فيه ولقبه بالشيخ .

ثم رجع سيدى إلى الاشتغال بالزراعة والتجارة ثم استأنف

العودة إلى التوظف فاشتغل سكرتيرا خاصا لمحافظ القنال ، ثم ترك هذه الوظيفة والتحق بوظيفة فى دائرة باغوص باشا نوبار بالفيوم، ثم عاد إلى بلده وتعرف بعد ذلك إلى الوالى الربانى والقطب النورانى سيدى الحاج محمد أبى خليل (ساكن ضريحه الأنور بالزقازيق) وكان قد نشر فى الناس نوره فأخذ عنه الطريقة الخلوتية البيومية برؤيا رآها ، فقرّبه ذلك العارف الكبير إليه وأقبل بقلبه عليه فازدهر وازدان حتى لقبه شيخه هذا بولىّ الله الكامل وقال له مرة على ملأ من إخوانه : والله العظيم والله العظيم أنت قطب أنت قطب .

وقد أذن له شيخه القطب سيدى الشيخ أبو خليل بتلقين العهد على الطريقة الخلوتية البيومية ، فأخذ عنه جمهور كبير من بلاد عديدة فى حياة شيخه، وكان الشيخ يمتدحه كثيرا للآخذين عنه وينوّه لهم بفضله وصدق دينه .

وقد ترك سيدى الأستاذ بلده بإذن شيخه (كما أخبرنى رضى الله عنه) والتحق بوظيفة فى دائرة سمو المغفور له الأمير

عمر طوسون بجهة دميرة فنشر دعوته لله فيها وفى القرى المجاورة ، ثم نقل إلى مقر الدائرة بالإسكندرية فكثر تابعوه فيها وفيما جاورها من البلاد مثل كفرالدوار ورشيد وإدكو . الخ ، وظهرت البركة على أصحابه وكان منهم طائفة من العلماء وخريجى المدارس العليا فعرّفوا زملاءهم به فأخذوا بالمثل عنه واغترفوا من منهله الصافى فرووا وامتازوا بالآداب الدينية السامية حتى صارت لهم سيما تميزهم من الرشد والكمال ، ولا تعجب فالمرء على دين خليله .

وكان شيخه رضى الله عنه يزوره فى مقره ويزور معه أتباعه فى البلاد العديدة التى فتح الله قلوب أهلها على يديه ، وكان يثنى لهم عليه فيزدادون تعلقا به وحبا فيه ، وكان يجله أمامهم إجلالا كبيرا لايدانيه فيه أحد من خلفاء الشيخ الآخرين .

وكان هو أيضا رضى الله عنه يجلّ شيخه كل الإجلال ويرد ما هو فيه من الفضل والنعمة له باعتباره مربيه وصاحب اليد عليه؛ وقدجاء فى الحديث القدسى «عَبْدِى لَمْ تَشْكُرْنِى مَالَمْ تَشْكُرْ مَنْ أَجْرَيْتُ النِّعْمَةَ لَكَ عَلَى يَدَيْهِ» وكان يقول لى رضى الله

عنه عن شيخه أنه كان آية من آيات الله ، كما كان يقول لى إن البركة التى يراها فى دينه ودنياه هى بركة شيخه سيدى الشيخ أبى خليل رضى الله عنه .

واعترافا بفضل شيخه ألف أستاذى رضى الله عنه كتابا فى سيرته سماه [السيرة الخليلية] وهو إلى جانب السيرة من المراجع المفيدة فى الدعوة إلى الله وآداب السادة الصوفية وهو مؤيد بأدلة قوية من الكتاب والسنة، وقد شهد له أهل المعرفة بأنه من خير ما كتب فى هذا الباب .

وإليك بعض ما وصف به أستاذى شيخه رضى الله عنهما فى ذلك الكتاب : [فى أوائل القرن الرابع عشر ظهر قطب هذا العصر الغوث العامل سلطان الذاكرين وتاج العارفين وقدوة العاملين وحبل الواصلين والشمس التى أشرقت على القلوب فانتعشت ، وبسط عليها شعاع الإخلاص فانبسطت ، وأمطر عليها غيث الرحمة فرَبت ، وبذر فيها بذور المعرفة فأنبتت ، وسقاها من ماء إيمانه فنمت ، ولاحظها بروح المفاجأة فأينعت ، وتعهدها من عبث

الشياطين وتعدى المفسدين فحفظت حتى أثمرت ، وعرفت مولاها وخالقها سبحانه وتعالى معرفة حقيقية فابتهجت ، ودبت فيها روح الحياة الطيبة فألهمت ، وأعطاها معطى النعم علما من لدنه خالصا من شوائب الأغيار فطهرت من رجس الظهور ومن نفثات الشياطين فعملت بما علمت ، وسارت بسير أهل الحقيقة على ناموس الشريعة فسلكت ، وظهر الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا . وقامت على ذكر الله فخشعت ، « وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْساً » ، فآمنوا به إيمانا سلك بهم إلى معرفة نفوسهم ، ومن عرف نفسه فقد عرف ربه .

وذلك هو الأستاذ الجليل والشيخ العظيم الذى ليس له مثيل سيدى وأستاذى وقدوتى إلى الله تعالى سيدى الشيخ [محمد أبو خليل] رضى الله عنه وأرضاه وأمده بروح تجلياته فى سلك حضرة أنبيائه صلى الله عليهم وسلم .

ظهر رضى الله عنه فى فترة كاد الحق فيه يطمس بين أمة منصرفة عن الطاعة إلى اللهو واللعب والفسوق والعصيان وتقلب

أهل الزيغ، وقلّ أن تجد من يفكر فى اتباع أوامر الشرع إلا القليل من المؤمنين ... فلما ظهر رضى الله عنه ساق النفوس إلى معرفة ربه بمدد نبوىّ حقيقى أمده الله به من نور المصطفى صلى الله عليه وسلم ولحظه بعين عنايته ووالاه برعايته .

دعا الناس إلى العبادة والطاعة فانتشرت دعوته وسطعت أنواره وبزغت له الأرواح فأمدها من نور روحه الطيبة العالية فبذر فيهم بذور الحب فاشتاقوا إلى مولاهم وقادهم إلى محبته فهاموا وقاموا على ذكره فتلذذوا ، ومن أحب شيئا أكثر من ذكره .

فكان رضى الله تبارك وتعالى عنه لهم شمس الحقيقة من مشكاة ذى الجلال ، وما زال يجاهد ويدعو بسرٍّ يبعثه الله فى القلوب فتؤمه الناس حتى انتهت إليه الرياسة فى هذا العصر ، فكان مع الكياسة والفطنة والذكاء ورجحان العقل الموهوب يقيم وزن الحقيقة بالقسط على دعائم الشرع ، فسلك المسلك القويم وأبان السبيل ، وهدى الناس إلى طريق مستقيم] .

وإنى وإن لم أر سيدى الشيخ أبا خليل رضى الله عنه فإنى

أيقنت بعلوّ فضله وعظم شأنه مما رأيته فى أستاذى السيد عبد السلام الحلوانى رضى الله عنه من الكمال وسموّ التربية ، وهو من ثمرات غرسه المبارك؛ وقد قال سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه : ليس الشيخ من حيا فى نفسه ، إنما الشيخ من حيا به غيره .

وقد أقام سيدى الأستاذ سنوات طوالا فى الاسكندرية كانت لأصحابه روحا وريحانا ، ولا يزال أهل الصلاح فى الاسكندرية يتحدثون عنها و يتغنون بها . وقد روى لى سيدى رضى الله عنه أنه فكر مرة فى ترك العمل بالدائرة والعودة إلى بلده ولكنه عندما استشار شيخه لم يوافق على الفكرة فأذعن لرأيه .

وفى سنة ١٩٣١ نقل سيدى الأستاذ إلى القاهرة بوظيفة مأمور دائرة طوسون فالتف حوله أصحابه الأقدمون الذين كانوا يعرفون فضله وصحبه آخرون ، وكان منزله بشبرا مثابة للجميع من أصحابه وغيرهم من أحبابه ؛ ولا أنسى أنس الجلوس بين يديه ولا حلو حديثه رضى الله عنه .

وعلى الرغم من تقدم سنه وكثرة أعماله كان سيدى الأستاذ يضحى براحته وصحته فى الدعوة إلى الله فكان يزور أصحابه فى حفلات الذكر ليليا ، وكان يوالى أصحابه فى البلاد الأخرى بزياراته وكنت أصحبه فى بعضها ، وكان رضى الله عنه يقول لى : الإخوان يحتاجون للموالاة ولا أنسى ابتهاج الإخوان بمقدمه وتأثرهم الشديد بفرقته .

ثم طاب رضى الله عنه إحالته إلى المعاش فى سنة ١٩٤١ لمرضه ولازم بيته ولكن المرض لم يحجبه عن لقاء أحبابه وزوّاره والدعوة إلى الله ، وتدبير أمور الطريق ، ثم رأى رضى الله عنه قبل انتقاله أن يجمع شمل الطريق على نظام يحفظ له رابطته وشأنه على ما كان فى عهده بلا تغيير ولا تبديل ، فسنّ للإخوان قانونا ينظم جماعتهم ويحفظ رابطتهم ، وقال من تبعه فإنه منى فكان ذلك عملا جليلا ووصية طيبة ، وكأنه كان يحس قرب انتقاله إلى جوار ربه ، وكان يقص على الإخوان كثيرا من المرائى مشيرا إلى ذلك ، منها أنه قص قبل وفاته بأيام ، ولم نعرف مراده

منها إلا بوفاته ، قال رضى الله عنه: رأيت طائرة منقضة نزلت إلى هنا وأخذتنى ثم سكت ، وقال للسامع أتدرى من كان فيها ؟ قال لا ياسيدى . قال كان فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يقول فى الأسبوع الذى توفى فيه: أحب أن أخرج من الدنيا وإخوانى يذكرون الله سبحانه وتعالى فى الحضرة لتخرج روحى بين أنفاس الذاكرين ؛ فلما كانت ليلة الجمعة ١٠ من ذى القعدة سنة ١٣٦٣ هجرية الموافق ٢٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٤ اجتمع الإخوان بعد صلاة العشاء كعادتهم للتعبد والذكر فناداهم إلى جواره وصار يحادثهم ويسألهم عن أهلهم ويؤانسهم إلى الساعة التاسعة مساء ثم قال لهم قوموا إلى مجلس الذكر ثم بدأ هو يذكر لفظ الجلالة (الله) ووافاه مرض الاحتضار وهو يردد لفظ الجلالة إلى النفَس الأخير ، ولم نسمع منه كلاما غيرها إلا قوله (الحمد لله رب العالمين) فكانت آخر جملة قالها ، وفاضت روحه راضية مرضية ، وأجاب الله أمنيته .

ودفن فى قرافة سيدى عمر بن الفارض عصر يوم الجمعة من

ذلك التاريخ ، رفع الله فى عباده المكرمين درجته ، وجزاه بجهاده فى سبيل الله خيرا كثيرا .

وقد احتفل بذكرى مولده بتصريح من وزارة الشؤون الاجتماعية فى ذى القعدة سنة ١٣٦٤ وأكتوبر سنة ١٩٤٥ . وكان مولدا جامعا للإخوان كما كان فياضا بالأنس والبركات .

(هـ) كيف اتصلت به ؟

كان لى صديق من أهل العلم يحدثنى عن فضل طريقتهم الخليلية البيومية ويمدح لى شيخه و إخوانه، وكانت عندى فكرة خاطئة عن الطرق الصوفية وتابعيها .

وكنت أظن أنه لايتبعها إلا الدهماء والبسطاء ولا يدعو إليها إلا المدعون ابتغاء لا بتزاز أموال الناس بالباطل ، غير أنى فى الوقت ذاته كنت أتوق لصحبة إمام قوىّ فى دينه أزكّى بصحبته روحى وأبعث به فيها الحياة الفتية النامية . ولما لم أجد هذا الإمام الذى أنشده عكفت على حفظ القرآن وقلت : كفى به مربيا .

وكان صديقى يتردد علىّ بزيارات كثيرة وفى إحداها أعاد الحديث عن إخوانه وفضلهم فى الأدب الإسلامى ونوّه بأخ لهم كفيف البصر ألهمه الله العلم والأدب بفتح قدسى؛ ومن ذلك أنه يقول الشعر استرسالا على البديهة ، و يأتيه أهل الأدب فيلقون إليه بأبيات شعرية يخمسها لوقته و يشطرها و ينطق على وزنها وقافيتها بقصائد طويلة يدعو فيها إلى فضائل الدين والتصوف . ولأنى كنت متشبعا بفكرتى الأولى عن أهل الطرق الصوفية ظننت أن كلام صديقى إن هو إلا ضرب من المبالغة والتعصب وصارحته بذلك ، فقال لى: البينة على من ادعى ، فهل لك أن تصحبنى إلى مجلس الإخوان بمولد السيدة زينب رضى الله عنها ، فترددت فى إجابته إلى رغبته ، لأن فكرتى عن الموالد لم تكن أقل خطأ منها عن الطرق الصوفية ، إذ كنت أظن بل أعتقد أن الموالد كلها شعوذة وخرافات ومباءة للدجل فى ثوب الدين الكاذب ، غير أنى قلت وما عليك أن تصحبه وتكشف أمر مبالغته وتزداد يقينا بعقيدتك فى الموالد وأهل الطرق .

وما كدت أنظر إلى مجلس إخوانه حتى أخذتنى دهشة إذ رأيت فيهم طبقة محترمة ينمّ عنهم لباسهم ، والمطربشون فيهم أكثر من المعممين ، والشباب أكثر من الشيوخ وهم يذكرون الله فى خشوع ، وينطقون بلفظ الجلالة بمنطق واضح وإن كان فى همس ، ويتمايلون يمينا وشمالا باعتدال ومن غير تكسر ولا هرج وزادت دهشتى حين أخذت أنصت لهذا العالم الربانى الكفيف وهو يثير حماس الذاكرين بشعر عربى مبين ، رقيق اللفظ ، عذب المعنى ، يأخذ من السامع مجامع قلبه وحسه ، فما كدت أنصت له قليلا حتى أخذتنى رعدة وسرى فى بدنى دبيب كدبيب النمل ، أما صوته فجميل ، وأما كلامه فأجمل ، وكان لى ميل إلى الأدب العربى فأخذتنى نشوة الأدب فوق ذلك الإحساس الذى وصفت لك . وأذكر أنى حفظت للأستاذ أول بيت سمعته منه فى أثناء قصيدة يمدح بها سادتى آل البيت وهو على ما أذكر :

لا تحسبونى جهلت المقام فإنى بقلبى بكم أستنير

ولكنى مع ذلك لم أسلم بأن هذا شعر إلهام وقتى ، وقلت

لعله محفوظ ، وما هو إلا أن انهالت على الأستاذ فى فترة هدوء مجلس الذكر أبيات من كل حدَب وصوب وهو يخمسها ويشطرها تخميسا وتشطيرا مصفًّى لاشية فيه ، أذكر منه على سبيل المثال بعض ما كتبته عنه :

هات النجوم أصُغ بها أبياتى إن المقام سما عن الكلمات

وقد خمسه بقوله على الفور :

آل النبى تزايدت لوعاتى لا تحرمونى الوصـل قبل مماتى
يا طالبا وصـفى لهم بالذات هات النجوم أصُغ بها أبياتى
إن المقام سما عن الكلمات

وسئل أن يشطر البيتين الآتيين :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم رب ذكرى قرّبت من نزحا
واذكروا صبًّا إذا غنّى بكم شرب الدمع وعاف القدحا

فقال مرتجلا كذلك :

اذكرونا مثل ذكرانا لكم إن ذكراكم تزيد الفرحا
وأعيدوها علينـــا أبدا رب ذكرى قربت من نزحا

واذكروا صبا إذا غنى بكم نسى الكون فنال المنحا
وإذا مايمم الحى دُجى شرب الدمع وعاف القدحا

وهكذا كان ينساب كلامه كالسيل الجارف ؛ وذلك هو العالم الموهوب فضيلة الأستاذ الشيخ [على عقل] رمز الطريق ، وآية العطاء ، وأحد أعلام الإخوان ، وهو إمام مسجد المواساة بالإسكندرية فى الوقت الحاضر .

وشوقنى هذا الذى رأيت وسمعت أن أكرر الزيارة لهم مع صديق ففعلت فى الليالى التالية وشغفت برؤية هؤلاء الذاكرين وسماع هذا الناصح الأمين ، فسمعت فى الليالى التالية ما هو أغرب وأعجب، إذ سمعت هذا الفاضل يفسر آيات من القرآن تفسيرا بينا لايدع للسامع شبهة ، وكان يعرّج فى التفسير وهو يتدفق فيه تدفقا على أحكام فقهية ، فلا يكتفى بمذهب بل يتعداه إلى المذاهب الأخرى، ويذهب فى سرد هذا الفقه المقارن إلى حكم السماء ولباب العلم، فقلت أنعم بهذا الوسط الذى يأخذ الدين بعلم ويهذب الروح بعمل، وهنا علمت أن كل طائفة فيها الصادق والكاذب ومن الظلم

أن ينظر إلى كل أهل الطرق على أنهم سواء فى الجهل والدجل ، كما علمت أن الموالد فيها الغثّ والسمين شأن كل الاجتماعات العامة ، فيها الأزهار والأشواك ، وقد خلوت لنفسى وقلت : ما أحوجك لمخالطة هؤلاء الذين لايسألون الناس أجرا فتأخذ قسطا من علمهم وعملهم وأدبهم ، ففاتحت صديقى برغبتى هذه فقال ادن من « الشيخ » يأخذ عليك البيعة بالطاعة لله ولرسوله ، ثم يأذن لك باتباع وردنا ، وهو ذكر بعض أسماء الله الحسنى وصلاة على سيدنا رسول الله واستغفار ، فقلت فى نفسى كل هذا مما يدعو له الدين فتقدمت وإذا بهذا « الشيخ » مطربش ، فلا هو معمم كما يلقب ، ولاهو ذلك الشادى بالشعر المرتجل والناطق بالعلم المنهمر وإذا هو سيدى السيد «عبد السلام الحلوانى» المترجم له ، فبسطت يدى إليه فبايعنى وما هو إلا أن تسارع كل الإخوان إلى وضع أيديهم معى فوق يدى وعلى ظهرى وأمسك بعضهم ببعض وأخذوا يرددون معى ما قاله لى سيدى الأستاذ فى هدوء وتؤدة وكمال من شهادة أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ، واستغفار ، وعزم

على التوبة ، وطرح المعاصى ، ومعاونة الفقراء والمساكين على قدر الطاقة ، واتخاذ سيدى على البيومى وسيدى الشيخ أبى خليل مشايخى فى الروح .

ثم أعطيت ورقة مطبوع فيها بيان ما يطلب اتباعه، فاسترشدت بها وسرت فى أوراد الطريق قدر المستطاع ، و بقيت أتردد على مجلس الإخوان حتى فرغ الاحتفال بالمولد ، فمكثت سنة تامة ملتزما أوراد الطريق ولا أعلم من أمر هؤلاء السادة شيئا ، وكنت أزداد إليهم شوقا يوما فيوما حتى دار الزمن وعادوا للاحتفال بالمولد ذاته ، فقابلتهم على شوق شديد وتعرفت على بعضهم وصادقتهم ، وعلمت منهم أن سيدى الأستاذ عبد السلام الحلوانى يقيم بالإسكندرية حيث هو يعمل بدائرة طوسون باشا ، فبدا لى أن أراسله فما كاد يصله كتابى الأول حتى رد علىّ بكلام هو السحر الحلال ـ مما سترى فيما بعد ـ وكنت أزداد به تعلقا و إليه حنينا كلما مرت الأيام ، وكنت أعد الأوقات لرؤيته وأرجوها فى كل وقت، ولحسن حظى كان يتردد كثيرا لزيارة أسرته إذ كانت

فى مصر للاستشفاء ، فكنت ألقاه وأسعد بصحبته مع إخوانى فى زياراته لآل البيت ، ثم نقل إلى القاهرة كما قدمت فزاد اتصالى به، وكانت تتكشف لى فضائله وكمالاته رويدا رويدا حيث كان رضى الله عنه يخفى من أمره كثيرا تواضعا لله ، وكان رضى الله عنه يوسع لى من عطفه وبره ـ عن فضل منه لا منى ـ ما سأذكره على الدوام ولا أنساه ، رضى الله عنه وأرضاه، وجعل الجنة مثواه :

تذكرت والذكرى تهيج لذى الهوى
ومن عادة المحزون أن يتذكرا

ولا تزال رسائله الكريمة عندى أحفظها وأعتزّ بها ، وسأنقلها إلى إخوانى فى هذه الرسالة لينتفعوا بما تضمنته من حكم كما انتفعت وليشموا عبيرها فتنتعش أرواحهم انتعاش الزهر إذا خالطه الندى:

كم من يد بيضاء منك غرستها ثمراتها لبنيك أضحت مكسبا

(و) شىء من وصفه وسجاياه :

كان رضى الله عنه ، متوسط القامة ، متوسط اللون ، متوسط الحجم ، ذا وجه مستدير ، جميل المحيا ، أقنى الأنف ، بهى العينين ،

يلبس ملابس الأفندية ، ويستعمل النظارة ، ويتختم بالفضة فى خنصره ، وكان خاتمه ذا فص من الفيروز ، وكان يمسك عصا ، وكان يحلق ذقنه ولم يرسلها إلا فى أخريات حياته ، وكان ذا مهابة ووقار يلمسهما فيه من عرفه ومن لم يعرفه ، وكان ذا تؤدة فى حركاته وفى كلامه ، وكان إذا سار مع الإخوان سار بينهم ، فإذا رآهم تباعدوا وقف حتى يجتمع شملهم ثم يستأنف المسير ، وكان يؤنسهم بلطف يشملهم جميعا حتى يظن كل منهم أنه أدنى الإخوان إليه منزلة ، وكان يحب أن يشاركوه فى طعامه حتى أن مائدته كانت لا تخلو من بعضهم .

وكان رضى الله عنه عالما عاملاً حليما كريما راجح العقل جلى الفكرة عذب اللسان ، ثابت الجنان ، سليم الوجدان ، حاضر البديهة ، لطيف النكتة ، جميل العشرة ، ينصحك إذا أراد بالنظرة ، ويفهمك بالإشارة ، وكان يبدأ أصحابه بالجميل ويعفو عنهم فى التقصير ، ويعتب عليهم بحسن التعبير ، وقد أهلته هذه الصفات لأن يكون محبوبا

من جميع عارفيه على اختلاف مشاربهم بل وأديانهم ، وكان إلى تفوقه فى العلوم الدينية عليما بشتى الشؤون ، خبيرا بالحياة حتى أنك لاتفتح له باب الكلام فى موضوع حتى تراه من أعلم الناس به . « فَتَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ » .

وكان رضى الله عنه نشيطا فى عمله الدنيوى دقيقا فيه ، يديره بمهارة فائقة وكفاية عجيبة حتى كان المشاهد له فى عمله ينقل عنه كثيرا من حسن تصرفه ، وكان مع لطفه ولين عريكته لايقع فريسة لمكر الماكرين بل كان يأخذ حذره و يقتضى حقه كاملا ، ولقد رأيته ذات مرة يحاسب أحد البنائين على الطوب و يسأله كيف لم يكتف به مع أن المبنى لايمكن أن يتجاوز الطوب الذى أُعدَّ له ، وماهو إلا أن اعترف البناء بأنه زاد فى ارتفاع الجدار بناء على رغبة أبداها أحد المرءوسين ، فقال له أستاذى رضى الله عنه : إنك خالفت تعلياتى وأنت المسؤول عن هـذه المخالفة وليست الدائرة ، ووجه اللوم للموظف الذى تعدى حدود اختصاصاته .

وكان كثيرا مايقوم على خدمة أصحابه بنفسه ، ويدخل عليهم السرور ما استطاع إلى ذلك سبيلا ، وكان يعطف على فقرائهم ويواسيهم ويدنيهم من مجلسه ، ويدفع عنهم نفقات الانتقال إذا سافروا معـه . وكان فى أسفاره لا يستريح حتى يطمئن إلى راحة رفقائه جميعا ، وكان إذا أكرمه الله بكرامة وحدثه بها أحد أصحابه قال له «هذه صدفة» وكان لا يتحدث عن نفسه ولا يحب أن يتحدث عنه أحد ، بل رأيته ذات مرة يطلب من بعض الإخوان أن يكف عن إلقاء قصيدة فيها مدح له . وقلما كان يمر بقلب أحد الإخوان خاطر إلا همس فى أذنه بالإجابة عليه من غير أن يشعر الآخرون ؛ وقد استفادوا من هذا التأديب كثيرا .

وكان رضى الله عنه كثير التعفف حتى عن أقرب الناس إليه ، فكان لا يقبل أن يدفع عنه أحد الإخوان شيئا كما كان يحمل متاعه بنفسه ، فإذا همّ أحدهم بحمله قال له صاحب الشىء أحق بحمله ، فإن جومل مرة رد الجميل مضاعفا .

وكنا نرى منه رضى الله عنه تصرفات نستطيبها ولا نعلم أنها

من السنة فإذا طالعنا السنة النبوية وجدناها منها فنزداد محبة فيه لحرصه على اقتفاء السنة الشريفة فى العبادات والعادات ؛ من ذلك مثلا أنه كان يخلع نعليه عند الطعام . وقد حدثنى رضى الله عنه أنه كان يحرص على تلك العادة حتى فى دعـوة سموّ الأمير له حيث كان يخلع النعلين بمعاونة قدميه لبعضهما البعض ، وكان يتخذ من أجل ذلك نوعا من الأحذية مما يسهل خلعه ؛ وأخبرنى رضى الله عنه أنه رأى مرة فى المنام أن أناسا يعترضون المـارة ولا يسمحون لهم باجتياز الطريق فلما دنا منهم خشى أن يمنعوه كما منعوا غيره فسمع كبيرهم يقول لهم لاتمنعوا هذا القادم من المرور لأنه يحافظ على سنة خلع النعلين عند الطعام .

وكان رضى الله عنه يتفقد الإخوان ، ويسأل عن غائبهم ، ويعود مريضهم ويدعو له بين الإخوان بالشفاء ، وكان يعز عليه ما يشكون منه ويعينهم بالرأى والمـال والجاه . وكان الإخوان يستشيرونه فيشير عليهم بما يرى ، وفى كثير من الأحيان يستغربون الرأى الذى يشير به فى أول الأمر ثم لايلبث أن يتبين لهم

رشده ونجحه وحسن عاقبته . وكان الحازم منهم لا يراجعه بل يأخذ بما يشير به لأول وهلة من غير جدل ولا مراجعة .

ومع أنه كان يستشار من كل الإخوان فى مهامّ شؤونهم العامة والخاصة كان رضى الله عنه لا يستنكف من استشارة غيره ممن يأنس فيهم أصالة الرأى ليعوّد الإخوان على المشورة وليقتفى أثر سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأذكر أنه رضى الله عنه استشارنى مرة فى أن يطلب من سموّ الأمير إحالته على المعاش و يقصد المدينة المنورة فيقيم إلى جوار سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية عمره فقلت له : إن رسالتك ياأستاذى التى تؤديها هنا رسالة محبوبة إلى سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنتم مع بعد الشقة متصلون به بالمحبة ثم أنشدته شطرا من بيت لشادينا المبارك فضيلة الشيخ على عقل * وكم من بعيد ولكن قريب *

فنظر إلىّ وابتسم وقال هكذا قال لى غيرك .

وكان رضى الله عنه يحب أن يأكل من كسب يده حتى أنه بعد أن أحيل إلى المعاش استأجر أرضا وزرعها واقتنى

ماشية تدر اللبن فكان يكسب من هذه وتلك أكثر من الفرق بين الماهية والمعاش . وكان يكره البطالة وينهى عنها إخواننا حتى لا يركن أحدهم إلى الكسل ، وكانوا جميعا يقلدونه فى النشاط واكتساب العيش بالجد والمثابرة فإذا أقبل الليل جدوا كذلك فى كسب الطاعة وادخروها لمعادهم .

وكان مع سخائه وبذل ما فى يده يكره أن تستشرف نفوس الإخوان لمتاع غيرهم وكان يضرب لهم المثل العملى فى ذلك ، فكثيرا ما رأيناه يرفض من أحبابه مايعرضونه عليه كهدية فإن طابت نفسه لقبول شىء أسرع فى الاثابة عليه . وقد أعجبه قلم كان معى فحاولت إعطاءه له ليستعمله فأبى كل الإباء ثم رآه بعد ذلك فى يد بعض الإخوان فقال له هل أخذت هذا القلم من فلان؟ قال إنى استعرته لاستعماله فقال له عند انتهائك من حاجتك إليه رده إلى صاحبه فامتثل فقلت له إن نفسى طيبة بأن تأخذه فقال إن أستاذى أمرنى برده ولا بد من تنفيذ أمره .

وكان رضى الله عنه يجيب دعوة الداعى مهما صغر شأنه

إذ يرى فى ذلك إدخالا للسرور عليه .

وكان رضى الله عنه يحب تآلف الإخوان وتوادّهم ويشجعه ويفرح به ، فكنت أصحب الأخ الصالح التقى الأستاذ حسن محرم (مفتش أوقاف مغاغة الآن) فى غدواتى وروحاتى فلقبنا بالحسنين، وكان إذا كتب إلى أحد إخواننا من الإسكندرية يقول له وسلامى إلى الحسنين .

وكان رضى الله عنه يحب أن تظل صدور الإخوان نقية ولذا كان يدعوهم إلى التصافى والتسامح ، وكان يضرب لهم المثل العالى فى الصفح الجميل بل وفى الإحسان إلى من أساء إليهم .

وكان رضى الله عنه لا يعبأ بالتفاف الناس حوله أو بانفضاضهم وقد سمعته مرة يقول : والله لو أن معى خمسين ألفا انفضوا فى لحظة واحدة ما عبأت بهم لأنى مع الله ملك الملوك ، وقد تأثرت بكلمته هـذه تأثرا كبيرا لأن كلماته كانت دائما ذات وقع شديد على القلوب ، شأن الصادقين مع الله .

وكان رضى الله عنه مع بسطة عيشه فى منزله وحسن رياشه وطيب طعامه ، يتنقل فى الأرياف ، ويتحمل التعب فى نومه وطعامه وشرابه وسائر أسباب الراحة ، لا يبتغى من هذا إلا وجه الله وكان مع ذلك يشعر الداعى بأنه وجد عنده كل الراحة .

وكان رضى الله عنه لايطيل الإقامة فى أية زيارة إذ كانت لا تزيد عادة عن ليلة وكثيرا ما كانت تكون لساعات من الليل، وقد صحبته مرة فى زيارة لأدكو قمنا لها من الإسكندرية عصرا وعدنا بعد منتصف الليل مع بعد المسافة إذ تبلغ نحو ستين كيلو، وكذلك زرنا رشيد وأبا المطامير وهما ـ أبعد من أدكو ـ وعدنا فى نفس الليلة (نحو سبعين أو ثمانين كيلو) .

وكان رضى الله عنه يحب صدقة السر ويدعو إليها . وكان فى بعض الأحيان عند زيارة مشهد من مشاهد آل البيت يشترى السكر ويتصدق به على الصبيان الصغار ، وسألته مرة فى ذلك فقال لى مبتسما «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» وأنا أحب السكر ؛ وأعجب من هـذا أنه كان يوصى بعض

الإخوان بشراء بعض السكر والتصدق به عنه فى مثل هذه الزيارات .

وكان رضى الله عنه جميل الفكاهة ، ولا يخرجه جمالها عن كمالها ولا عن وقاره ؛ وأذكر على سبيل المثال أنى صحبته مرة لأدكو وصحبنا أحد أصدقائى الأفاضل وكان اسمه محمد الحلو (مدير إدارة الضرائب ببنى سويف) وكان الداعى لنا اسمه الشيخ سعد أبو حلو (كان من أفاضل الصالحين عليه رحمة الله) فلما أخذنا مجلسنا بمنزل الداعى والتف حولنا كثير من الإخوان أخذ يعرفهم بنا ، فبدأ بصديقى فقال حضرته محمد أفندى الحلو وحضرته الشيخ سعد أبو حلو وأنا الحلوانى فضحك الجميع لهذه الفكاهة الطريفة .

ودعوته مرة رضى الله عنه مع نفر من إخوانى إلى طعام وكان فيه خبز رقيق من صنع الصعيد ، فتعجب بعض من لم ير هذا الصنف من رقته وقالوا لسيدى الأستاذ كيف يخبز مثل هذا الصنف بهذه الرقة ؟ فنظر إلىَّ رضى الله عنه وابتسم وقال :

يسائل عن خبزنا كيف رقّ كرقة دمع المشوق الدّمِع
فقلت حلال وقد قيل قِدما يرق الحـــلال ولا ينقطع

فاستعدته رضى الله عنه فأعادهما وعمنا السرور واستبشرت بهذه البشرى ، ثم أخبرنى رضى الله عنه أن البيتين من شعر والده وأنه قالهما فى مناسبة كتلك المناسبة .

كما أذكر أيضا أن طبيبا عاده فى مرض شديد ووصف له دواء كان نادرالوجود بسبب ظروف الحرب فخرجت (وأخى الصالح السيد حسين محمود مفتش الضرائب) للبحث عنه فعثرنا عليه بسهولة فعدت به مسرعا وكان فيه باذن الله الشفاء ، وما كدنا ندخل عليه بعدها معا حتى ابتسم وقال :

ياجزى الله صاحبىّ جميـلا صححا لى نصحا به صح حالى
قربا لى ذاك الذى وصفا لى وصفا لى ذاك الذى وصفا لى

والبيتان لوالده أيضا رضى الله عنهما .

وكان رضى الله عنه حليما ، قليل الغضب جدا ، و إذا غضب

فلا يغضب إلا لله ، ولذلك وصفه عالمنا المبارك فضيلة الأستاذ الشيخ على عقل بأنه قريب الرضا بعيد الغضب .

وكان رضى الله عنه يحب الصالحين جميعا، ولا يتعصب لأهل طريقته دون غيرهم، وكان يكره أن يتعادى أهل الطرق المختلفة ، ولذلك كان يسعى دائما إلى تصفية الجو بينهم ويذكرون ذلك له بالفضل والتقدير والإعجاب .

وإلى القارئ مثلا من ذلك ما كتبه السيد الصالح على أفندى أحمد أبو النظر نائب مشيخة الطرق الصوفية بالإسكندرية عند ما علم بوفاته .

«حضرة الأستاذ الفاضل الحاج عبد المنعم أفندى :

قرأت فى مقطم أمس نعى المغفور له والدكم الراحل الكريم ، فحزنت أشد الحزن وأسفت الأسف العظيم . فقد كان رحمه الله رحمة واسعة، وأفسح له جنات النعيم ، الأخ الشفيق الرحيم ، والصديق الوفى الحميم ، والمحسن الصادق الأمين ، والناصح الفذ المبين . وكانت له اليد الطولى فى الإصلاح والتوفيق بين الطرق الصوفية وبخاصة

الطريقة الخليلية البيومية ، فقد بذل فى هذا الميدان الدينى الفسيح من عظيم الجهود ومحمودها مايستحق عليه أجمل الثناء والمديح. وكان على جانب كبير من عزة النفس و إبائها، وكرم الأخلاق وسموها ، وكان موئل البائسين وملاذ المحتاجين ، ومورد الإخوان الصوفية وقدوة الصالحين من رجالات عهده وزمانه ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، وأسكنه فسيح جنانه ، وألهمكم وإخوتكم وأسرتكم الكريمة جمعاء جميل الصبر والسلوان. إنا لله و إنا إليه راجعون»

المخلص

١٩٤٤/١٠/٢٨ **على أحمد أبو النظر**

وكان يحب أن يلتزم المريد مشربه من أستاذه مع المحبة والمحافظة على الآداب الإسلامية مع الجميع . وأذكر أنه مدح لى أناسا من أهل الفضل فى الدين من ذوى الطرق الأخرى ، فشهد لبعضهم بالولاية وشهد لآخر بأنه مأخوذ فى الله ، كما أنه رضى الله عنه طلب منى مرة أن أسأل بعض الصالحين الدعاء له بحفظ الإيمان كلما قابلته فنفذت رغبته ، فكان ذلك الصالح يقول : أسأل الله

أن يحفظ عليه وعلينا الإيمان ، وفى هذه المناسبة أذكر ما رواه لى رضى الله عنه من أن بعض الصالحين كان يلقاه ويسأله الدعاء ، فكان يدعو له سيدى الأستاذ قائلا : الله يقوّى إيمانك فيرد ذلك الصالح قائلا : ويحفظه كمان ياسيدى ؛ كما أذكر أن بعض المجذوبين فى الله قابل سيدى الأستاذ من غير معرفة سابقة فقال لسيدى متفكها معه : إيه يعنى يا سيدى إمام ناس ، كما أن مجذوبا آخر رأى سيدى فى مجلس الذكر بمولد سيدى إبراهيم الدسوقى رضى الله عنه فشده من الحلقة وأوقفه فى وسط المجلس ليديره، ولا يخفى أن أهل المعرفة يرون بنور بصائرهم ما لا نراه نحن بنور الأبصار .

وقال لى مرة رضى الله عنه : لقد سمعت النداء من جوفى ينادى بلفظ الجلالة ، وقال لى مرة أخرى : مرّ بى حال كنت ألقى الشخص فيلقى فى رُوعى اسمه واسم أبيه واسم أمه وأرى بيته رأى العين فسألت ربى أن يحجب ذلك عنى حتى لا يداخلنى الغرور .

ودخلت عليه رضى الله عنه مرة قبيل الأصيل فوجدته جالسا

على سريره فنظر إلىّ وقال: إذا كان الواحد يرى الحق جل وعلا بلا كيف ولا حصر ، وكأنه نور فى نور ويقول أنا أغفر لعبدى ولا أبالى، ثم استطرد رضى الله عنه قائلا: وصحيح هايبالى من مين.

(ز) أسلوبه ورسائله :

كان أسلوب سيدى فى الكتابة من السهل الممتنع ، لا عن تكلف ، ولكن عن سجية وإلهام ربانى ، حتى إنك لتجد الكلامه على سهولته رنة فى قلبك كما ترى من النماذج الآتية . ولعلك تعجب إذ علمت مما تقدم أنه لم يتم تعليمه لوفاة والده ، ولكن لاتعجب فأمثال سيدى ميسرون لما خلقوا له من الدعوة والإرشاد إلى الله ، ولا ترى لسيدى رسالة خالية من نصح جميل فى كلمات رقيقة تنمّ عن اتصال بالله ورسوله ، والله يؤتى فضله من يشاء .

و إنى ناقل لك رسائله التى تفضل فبعث بها إلىّ ، وهى محفوظة عندى على الدوام أعتزّ بها وأحرص عليها ، وتدعونى الأمانة إلى

نقل نصوصها كاملة و إن بدا فيها امتداحى ، فقد قدمت لك أنى كنت محل عطفه عن فضل منه لا منى .

وسأتبع الرسائل ببعض كلام له فى الروح والنفس ثم أعقب ذلك ببعض دعوات له وهى جميعها مكتوبة بخط يده ومحفوظة عندى .

أولا — الرسائل :

١ — رسالة من الإسكندرية بتاريخ ٢٨ يوليه سنة ١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الولىّ الحميد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله النبى الشهيد ، وعلى آله وصحبه أهل الرأى السديد ، ورضى الله عن شيخنا أبى خليل ونجله وعترته ومن تبعهم إلى يوم الوعيد .

و بعد ، فقد دنا الوقت ولا محيص عنه ، وستبلى بشاهدين ، و يقضى الله أمرا كان مفعولا ، وخذ لك موعظة حسنة من الأولى و يكفيك الأمر فى الثانية « وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ

حِينَ تَقُومُ » وتقلب فى الذاكرين ، وكن معهم ذاكرا شاكرا ، ولا يهمك أمر الدنيا فإن السعة هى الرضا «وقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْماً» وانهج منهج أهل اليقين ، فسيكون لك شأن كبير وتستفيد فى الصحة إذا ذهبت ، فاستفدبالتقوى إذا أقمت ، ولك رؤية من بعد رؤيا ، ولك حجة من بعد عدد معلوم . وقد يكون بعيدا وتراه قريبا ، والبعيد قريب ، والله مجيب ، وسلامة الأمر فى عدم الجهر « أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ» فكن مطمئناً بلاطلب للرؤيا التى طلبها سيدنا إبراهيم و إن كنا لانساوى فى جانبه شيئا من التمثيل به ، ولكن ربك رب الكون الذى خلقه ودبره ، وقام بأسبابه من غير سبب ولا إلزام ، فإذا فزت وقرت عيناك فاشكرالله والصبر أولى ، ولاتذهب نفسك عليهم فإنك إنما تنتظر نفاذ القضاء، وماقضاه لك خير كبير ورزق كثير ونعمة وافية وقلب راض . « واللهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ » والوالدان الوالدان قضى ربك بما لاينبغى أن أذكرك به ، ولابد من الوفاء

والصفاء ، و يعود العود رطبا ، والحب لله أكبر كل أمر ، وهو الولى الحميد .

يا حسن أنت حسن وحسن ، وقد روى بسند حسن عن الحسن البصرى عن الحسن السبط عن أبى الحسن على بن أبى طالب « أَنَّ أَحْسَنَ الْحُسْنِ الْخُلُقُ الْحَسَنُ » ويكفيك فى خلقك أنك أحسن الحسن فكن مسرورا دائما ، وإن لم تجده فاخلقه فى نفسك لتفوز ، وكن مع أهل الحقيقة وابحث عنهم بحث الباحث عن حق يرجع إليه لنفسه فقط .

والسلام عليكم ورحمة الله المخلص

١٩٣٠/٧/٢٨ **عبد السلام الحلوانى**

وهذه الرسالة كما ترى جمعت بين تبشير وتذكير وتوجيه وفكاهة ، وقد تيسر لى الحج الذى بشرنى به فيها على غير ترتيب أو انتظار ، وذلك فى سنة ١٩٣٤ ، وهكذا تحقق قوله رضى الله عنه (وقد يكون بعيدا وتراه قريبا) .

٢ — رسالة من الإسكندرية بتاريخ ١٤ أكتوبر سنة ١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيزى الكامل حسن بك كامل ، أدامه الله وأبقاه ومتعه بالصحة والهناء .

إن باء بنعمة الإخلاص إليك إنسان فقد يكون هذا الضعيف الذى يضرع إلى الخالق البارئ أن يهبنا الإخلاص الكامل ، والقرب الشامل ، وأن يمتعك بالصحة والعافية والهناء ، وأن يصلح لنا ولكم الوقت وحسن الحال ، وقد آلمنى ألمك الذى رافقك من سفرك ، شفاك الله وعافاك ، واحترس من هواء الخريف ، فإنه لطيف ، ولا يخاف إلا من اللطيف كما قال بعض الحكماء .

احذر أخىّ هوى الخريف فإنه مستعذب مستلطف خطاف
يجرى من الأجسام جرى عروقها بلطافة ومن اللطيف يخاف

هذا و إن أشكرك على تفضلك بالتحرير ، فقد يقال شكر فاعتبر غير ما هو واجب ، إذ واجبنا اعتبار السؤال من واجبات

الأسرة ، وأنت منا ونحن منك فلاشكر على واجب ، وإنما غايتنا الاطمئنان عليك ، وعليك السؤال عنا .

أما عن الدنيا ومافيها ومن فيها فدعها بما فيها لمن يدبرها فيوفيها ، وفيها ما فيها ، لأنك إن دبرت وصح التدبير ، وهو مطلوب شرعا فلا تدرى كيف قضى فيه ، فإن صح القضاء بالرضاء فهو القضاء ، وإن حصل الجفاء سألناه اللطف فى القضاء ، مع الرضاء على أنه الرضاء ، ولا تخف فالرضاء حاصل وأنت كامل والحقوق لأربابها والزمان له دورته .

وسيتم لك ما تريد مادمت مع الله وقضى ربك ، وأنت ذو مزاج ظريف فحافظ عليه فإننا نريد لك الأنس والسرور ، ويدوم إن شاء الله وتأنس ويؤنس بك ويتم لك الصفاء والوفاء ، وأرجوك أن تتقبل سلامى وتحياتى الخالصة من القلب والروح وسلامى للسيد الوالد والإخوة المخلصين ، أدامكم الله وأرانا وجهك قريبا فى خير وسرور .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

فأنت ترى من هذه الرسالة : مبلغ عطفه الأبوى و براعة التوجيه إلى الله فى التورية الواردة فى قوله « ولا يخاف إلا من اللطيف » وجمال التواضع بين أستاذ وتلميذه . أما النصيحة التى ختم بها الرسالة فهى تنطق بجمال الحكمة المودعة فيها ، ولقد ذكرتها لأحد كبار العلماء فى حديث لى معه عن حكم الصوفية ، فأخذته نشوة غريبة وقال : أعد علىّ كلام أستاذك العظيم ، ففعلت ، فما كان منه إلا أنه أخرج ورقة من جيبه وقال : أملى علىّ وكتب فعلا هذه الدرر الغوالى .

٣ — رسالة من الإسكندرية فى ٥ يناير سنة ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيزى المحترم حسن أفندى كامل، أدامه الله :

تحية وسلاما وشوقا كثيرا كثيرا .

و بعد : فقد ورد خطابكم الذى لم يزدنى شيئا على ما أتحققه فى شمائلكم الكاملة ، وذلك الإخلاص الصادق ، وتلك الروح الطيبة النقية الطاهرة ، و إنما زودنى من نوره المشرق بما أملته

تلك الروح ، وذلك القلب الممتلئ إيمانا و يقينا ـ شوقا إلى رؤيتكم فانني كنت أتمنى أن أحظى بمجلسكم كثيرا كثيرا ، لأمتع الروح بتلك الوجوه الساطعة من إشراق قلوبها بنور المحبة واليقين ، ولـكن هى الظروف ، وهى التى تجرى بالقدر ، والله بديع السموات والأرض هو المقدر ، وقد رضينا بما يجرى به القضاء ، أسأل الله أن يرينا وجهكم فى أسرّ الأوقات وأسعد الحالات .

أما هذه المسألة التى أخبرتمونى بها فلها ظروفها ، والله هو المدبر ، فليس لنا فى الأمر من شىء ، إنما هى آمال ، ولو اطلع أحدكم على الغيب لاُختار الواقع ، واختيار الله لنا خير مما نختاره ، إنما هى أسـباب يدفع الله فى قلوبنا طلب اتخاذها لينفذ أمره ، و :

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المطالب

هذا وسلامى للأشقاء ، والإخوان المخلصين خصوصا حسن أفندى محرم والشيخ محروس وتقبل تحياتى وسلامى وسلام إخوانى خصوصا الشيخ على عقل الذى كان عندنا

بالأمس ويسافر اليوم . أدامكم الله ومتعكم بالصحة والهناء والسرور ، وكل عام وحضرتكم بخير . وسلامى الخاص مع الشوق الوافر لحضرة السيد الوالد .

المخلص

١٥ شعبان سنة ١٣٤٩ عبد السلام الحلوانى

ولا يخفى عليك ما فى هذه الرسالة من توجيه للتفويض المطلق لله مع الأخذ فى الأسباب الظاهرة . ثم انظر إليه وهو يعبر عن تلاميذه « باخوانى » .

٤ — رسالة من الإسكندرية فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٣٠

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيز القلب والروح ، حبيبى حسن أفندى كامل ، حرسه الله وأمده بمعونته .

أهلا وسهلا بكتابك القيم الذى أزال وحشة البعد خصوصا وإنى لم أحظ هذا الأسبوع بلقائكم ، وقد أصبح القلب يحن إلى

اللقاء دائما لتتمتع الأرواح بلقاء الأشباح، و إن كانت مجتمعة، فلله درك ، ولله كتابك هذا ، وأسأل الله أن يمنحك التقوى الثابتة والقوة وسعادة الدارين .

أهديك تحياتى القلبية وســـلام الإخوان جميعا خصوصا الشيخ على عقل فإنه عندنا الآن ، وأرجو إبلاغ سلامى وشوق لحضرة السيد الوالد ، وله جزيل الشكر الوافر على تكلفه هذا السعى، جزاه الله عناخيرا ، ثم سلامى للإخوة الكرام، ثم لجميع الإخوان خصوصا الشيخ محروس حبيب الطرفين .

وتقبل تحياتى وعاطر تسليماتى وشكرى الخالص ودمتم.

المخلص

٩ / ١١ / ١٩٣٠ عبد السلام الحلوانى

٥ — رسالة من الإسكندرية فى ٢٩ يوليو سنة ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ولدنا العزيز الفاضل حسن أفندى كامل .

أما الشوق فكثير جدا ، وذكره لمن له قلب يشعر من باب

تحصيل الحاصل، فتقبل سلاما من قلب تحنّ روحه إليكم فتهديكم تحيات تليق بروحكم الطاهرة الطيبة .

وصلنى خطابكم وأعتذر فى تأخير الرد فإنى متأخر ... كما تعلمون ، ولكنى تعودت السماح . أما رحلتكم المباركة فقد سرتنى جدا . وأما الإذن فلديكم من زمن و إذا أردته رسميا فانتظروا حتى أحضر وأطلب لكم إجازة رسمية من المشيخة . و إنى أسأل الله لكم ولنا التوفيق والرضا، وأن يجعل وجهتنا إليه، وأن يفتح لنا طريق الخير، وأن يمدنا بنور من نور نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى نسلك سبيله القويم، وأن يجعل فرحنا به خير ما نلقاه به يوم القيامة ، إنه سميع الدعاء .

أما حسن أفندى محرم فأبلغه تحياتى وأشواقى ،وقد بلغنى أنه كان بالإسكندرية فلماذا لم يقابانى ؟ إذا كان لعذر فمقبول ، و إن كان لذنب منى فأستغفر الله وعليه السماح . وعلى كل فإنه حسن وفعله حسن .

ولا تؤاخذنى فى هذا الاقتصار . والمهم أن تتقبل تحياتى وأن تعلم أن مسكنك القلب ، فلا تنسنى من الدعاء كما لا أنساك .

وسلامى للسيد الوالد والإخوة والإخوان والمحبين ، ودمتم .

المخلص

٢٩ يوليو سنة ١٩٣١

عبد السلام الحلوانى

ورقة شمائل سيدى الأستاذ تتجلى فى تلك الرسالة، فهو يعتب على بعض الإخوان ويلتمس له العذر فى الوقت ذاته، ثم يختم بمدحه . ولا أكتمك أنى ما فرحت بشىء كفرحى بقول سيدى ولدنا فلان ؛ وما أعزها من أبوة ولله در القائل :

أقدم أستاذى على حـــق والدى
وإن نالنى من والدى العز والشرف
فهذا مربى الروح والروح جوهر
وذاك مربى الجسم والجسم كالصدف

٦ — رسالة من الإسكندرية فى ٢٥ أكتوبر ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيزى المحترم حسن أفندى كامل ، أدامه الله وأحياه حياة سائغة هنية .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، إن قلت لكم أنا مشتاق والشوق شديد فليس هذا معنى ما تقاسيه الروح من ألم ذلك الشوق ، إنما أترك الأرواح تتناجى ولها الله سبحانه وتعالى ، وهو الذى يعلم السر وأخفى . ثم لا تظن أن تأخيرى عن الرد جاء عن قصد ، كلا وربك إنما هو عذر منع الكتابة فقط ولم يمنع الروح عن اتصالها بكم ، أو على الأقل تضرعها إلى الله تعالى أن يرضيكم عن هذا التأخير، وأن يجزيكم عنا أحسن الجزاء .

أما عن تخيركم الإقامة فى حى السيدة زينب فإنها نعمت الخيرة ونعمت الجيرة ، وهل تكون جيرة أحسن من تلك الجيرة جيرة أهل البيت ؟ ولك حق الجوار: الرحمة والبركة واستدرار الخير

من الرحمن الرحيم الذى يكرم آل البيت ويكرم من يجاورهم ، ومن جاور السعيد يسعد ، فنعم ما فعلت .

هذا وأرجو إبلاغ سلامى للأشقاء الأعزاء ، ثم لحضرة محمود أفندى صاحب الأجزخانة ، ثم للإخوان الأعزاء خصوصا حضرة على أفندى السيد وحسن أفندى محرم ، ولعله مع مواصلة المذاكرة لايترك زيارتكم وزيارة الإخوان وزيارة آل البيت على الخصوص ، فتح الله علينا وعليه ، وزوّدنا جميعا بزاد التقوى ، ورزقنا وإياكم البركة فى الوقت والزيادة فى الدين و بسطة فى العلم والجسم .

ثم السلام لصاحب الروح الطيبة العالية إبراهيم أفندى زكى و بينى و بينه بينة على أمر تبين له فبان ، و بان له وسطع الحق وانتصر « وَاللهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ » ، ثم السلام لجميع الإخوان فردا فردا فلايؤاخذوننى فى الإجمال فإن لى معذرة الآن والقلوب أكبر برهان .

والسلام عليكم ورحمة الله ، وسلامى الخاص لحضرة السيد الوالد ، ودمتم .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

والرسالة كما تراها تفصح عن سموّ الأدب وجمال التأديب .

٧ — رسالة من الإسكندرية فى ١١ نوفمبر ١٩٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة عزيز الروح الأديب الفاضل حسن أفندى كامل ، حفظ الله مهجته وأدام عليه محبته ومنحه رحمته .

إن استعراض النفوس يحير الألباب ، ويفتح بابا وراءه ألف حجاب ، لا يعلم ما وراءها إلا واهب الألباب طريق الصواب ، فإن كشف الحجاب لبعض الأحباب رأى تدبير القادر الحكيم وقال: لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فإن أنا أبصرت فلا أبصر إلا من ضوء روحك الطاهرة الطيبة التى ينعكس نورها على قلبى الكثيف فيرى قلبك التقى السليم فيحمد الله سبحانه وتعالى على ذلك الإخلاص الذى يدين به قلبى فيدعو

الله سبحانه أن يديم عليكم نعمته ، وأن يرزقكم الحسنى وزيادة ، وأن يجعلنا جميعا من عباده المخلصين ، الذين لا يرون سواه، فتقبل سلامى وشوقى وأبلغ تحيات روحى لسادتى الإخوان الأعزاء خصوصا سيدى على أفندى السيد ثم الأشقاء، ثم لحضرة الرقيق العاطفة الكريم الأصل إبراهيم أفندى زكى ثم لأخيك حسن أفندى محرم ، وإن صبرى عليه صبر من ينتظر له النجاح والفلاح وقل له القوة فى الختام والنجاح بالخاتمة والسلامة فى الإسلام ونوال المقصود بالركون إلى الكريم الرحيم العليم العلام وإن زاد ترك العباد واشتغل بنفسه وعمله مع الله ولازم من لازمه على ذلك فالله بصير بعباده ، ثم لا تنس إبلاغ السلام لكل شخص بمفرده وأنت جدير بالتخصيص فقد أجملت أنا ارتكانا على قيامك بذلك فلا يعتب عاتب ولا يغيب غائب وليس عندى بغائب . وتقبل أنت تحياتى وإخلاصى وشكرى على موالاتك بالتحرير ،والله يجزيك عنى أحسن الجزاء، وسلامى للسيد الوالد، ودمتم .

المخلص

عبد السلام الحلوانى

ولم يكن أدبه فى مكاتباته خاصا بأحبابه وتلامذته بل كان يعامل أولاده معاملة الصديق للصديق ويعلمهم الأدب والتواضع بأدبه ، ولقد رجوت من نجله الأستاذ أحمد عبد المنعم أن يطلعنى على بعض مكاتباته له فلم يجد إلا قليلا منها لمناسبة الحج ، وهاهى كما طالعتها بخطه رضى الله عنه :

١٩٣٧/٢/٥ وكان فى الحج للمرة الثانية :

حضرة ولدنا العزيز عبد المنعم بك حفظه الله .

أبحرنا من السويس وقلوبنا معكم فالله لكم وقد دعوناه بقلوب حارة أن يبلغكم مرادكم ، وقد أحرمنا اليوم الجمعة بعد الظهر ودعونا لكم عند التلبية وفرقنا كتابكم النفحات فكان الكل يدعو لكم بخير وباكر الساعة (٨) إن شاء الله نصل جدة ونتوجه إلى مكة وندعو لكم فى الطواف ونكتب لكم من هناك فلا تنسنا من الدعوات ، وتقبل تحياتى وسلامى الحار وسلم على الآل والأنجال وفقكم الله سبحانه وتعالى لما يحبه ويرضاه وبارك فيكم ووسع عليكم وقضى عنكم كل ما يثقلكم ورزقكم الهناء والسرور ودمتم ؟ .

والدكم

الحلوانى

ولدنا العزيز حبيب القلب عبد المنعم أفندى عبد السلام الحلوانى ، حفظه الله وأبقاه ، وأدام عليه نعمة الإيمان ، ووسع عليه رزقه ، وبارك له فيه.

السلام عليكم ورحمة الله من قلب مخلص يدعو الله لكم فى الحرم المكى فى كل وقت ، وصلنا بعون الله وفضله وكرمه إلى مكة المكرمة وطفنا وسعينا (نسأل الله أن يتقبل أعمالنا) وقرأنا لكم الفاتحة ودعونا لكم بخير عند الملتزم ومقام إبراهيم ، ودخلنا الكعبة وصعدنا من باب التوبة الموصل إلى ظهر الكعبة ولكننا لم نبلغ الظهر لأننى من الخشية لم أستطع أن أبلغه ، وفى كل هذه المقامات لم أنسكم مطلقا فكان لسانى وقلبى يلهج بالدعاء لكم ولإخوتكم وأولادكم ، وأنت تعلم دعاء الوالد لولده خصوصا أنتم بلغكم الله مرادكم وتقبل دعاءنا لكم .

الحمد لله رب العالمين لم نلق تعبا فى سفرنا قط ومن فضل الله تعالى علينا أن سكنا فى مدرسة داخل مبانى الحرم فنحن ليلا ونهارا ناظرين إلى الكعبة و إلى الطائفين بالبيت وهذا من نعم الله علينا ، وسنقيم بمكة إلى الحج إن شاء الله ، وقد كنا عازمين على الزيارة

أوّلا لولا توقعنا حضوركم مع سالم بك جمعه الذى يلهج لساننا دائما بالدعاء إلى الله أن يبلغه و يبلغكم مرادكم .

هـــذا ومن هنا الحاج محمود شبانه والحاج عبداللطيف أبو الحسن والحاج محمد ناصف يسلمون عليكم ، أما كتابكم ففيه بركة وقد تخاطفه الحجاج وكان البعض يلح فى إعطائه نسخة لولا نفاد ما كان عندنا بارك الله فيكم وجعل عملناوعملكم لله تعالى وجعل وجهتنا إليه آمين ، والسلام عليكم ورحمة الله ؟

والدكم الداعى لكم

١٩٣٧/٢/٧ عبدالسلام الحلوانى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة ولدنا العزيز عبد المنعم أفندى ، حفظه الله وحرسه ونصره ووسع عليه وأنعم عليه .

السلام عليكم ورحمة اللهسلاما من قلب يدعو الله لكم دعاء حارا وروحى توقن بالإجابة إن شاء الله . أكتب لكم هذا وأنا فى الحرم المكى على أهبة طواف الوداع وسنقوم إن شاءالله اليوم

إلى المدينة المنورة ونعود منها إن شاء الله لنركب فى الباخرة الثالثة التى تقوم من جدة يوم ١٢ أو ١٤ مارس سنة ١٩٣٧ وسنقوم بالأمانة التى حملتمونا إياها وهى دفع ٥ قروش لمن نظنه فقيرا جدا كما فعلنا بمكة ونبلغ سلامكم لحضرة المصطفى صلى الله عليه وسلم وندعو الله لكم هناك .

أما رحلتنا فكانت سارة جدا وكنا موضع عناية كبرى من الجميع، فجلالة الملك ابن السعود سمح الشيخ على وكان معه أمراء اليمن والعراق والشام والهند وسلطان بهرة وأمراء الغرب وأعيان مصر قاطبة (الحجاج) وكان موضع إعجاب الجميع وقد خلعوا عليه خلعا سنية وخصوصا طلعت باشا حفظه الله؛ أما محمود بك بسيونى فقد كان يلازمنا ويكاد يطير بالشيخ على وكان يقدمه فى كل حفل ودعينا فى جملة مآدب؛ أما الملك ابن السعود فقد خلع علينا وعليه وعلى سالم بك كل منا بعباءة وشال وعقال وسهلوا لنا الأمور فى السفر ، وهذا كله من فضل الله .

وقد وصلنى خطا بكم وتأثرت مما ذكرته وكنت أدعو لكم فى كل وقت .

أسأل الله القبول . أبلغ سلامى للآل والأنجال جميعا أرانا الله وجهكم فى أسرّ الأوقات، والسلام عليكم ورحمة الله .

والدك

مكة المكرمة ١٩٣٧/٢/٢٨ ١٧ ذى الحجة ١٣٥٥ الحلوانى

حضرة ولدنا العزيز البار عبد المنعم أفندى الحلوانى ، حفظه الله وكفاه شر الحاسدين .

سلام قلبى وتحيات روحى وشوقها تهدى لحضرتكم وأسأل الله لكم الهناء والاطمئنان والسعة ، و بسط العيش ، والصحة والعافية وحسن العاقبة .

لعل الآل والأنجال جميعا بخير وعافية، خصوصا منهم أحمد بك والبزورة شقيقاته إخوتك بخير يقبلون الأيدى و يسألونك الدعوات وكذا إخوانى وأحبابى هذا وتقبل تحياتى ولا تنسنى من الدعوات ولا من المكاتبات لأطمئن .

والسلام عليكم ورحمة الله . والدكم

القاهرة ١٩٣٩/٩/٢١ الحلوانى

حضرة ولدنا المحبوب عبدالمنعم أفندى الحلوانى وفقه الله للأعمال الصالحة :

تحية وسلاما وشوقا ، ورد خطابكم وفرحت جدا بعزمكم على أداء فريضة الحج وشكرت الله تعالى أن أودع الشوق فى قلبكم الطاهر حتى هممتم بعد العزم وبدأتم بالتنفيذ ، سهل الله لكم السبيل وتولاكم فى جميع أموركم وفى سفركم هذا وتقبل أعمالكم، فإذا وصلتم إلى السويس تجدون هناك لوكندة بنك مصر تبيتون بها ومن هناك تعلمون كيف تصلون إلى المحافظة وتؤشرون على الجواز وعند مكتب التأشير على الجوازات تجدون محمد أفندى عبد الباقى وهو يرشدكم إلى مكان يليق بكم فى المركب وستجدون الراحة التامة حتى إذا وصلتم إلى جدة وانتهيتم من الجمرك تطلبون مطوفكم عبد الرحمن العطار ووكيله هناك يسهل لكم الوصول إلى مكة المكرمة وعند الوصول تتوضئون ثم يقابلكم المطوف وفى الحال تؤدون الطواف والسعى و بعض المناسك ثم تستريحون أى تعرفون محل إقامتكم مع العلم أن الإقامة هناك غالبها فى الحرم الشريف إلا وقت الأكل والشرب وقضاء الحاجة. أما الاجتماعات

فغالبها فى الحرم ، وكذلك التعارف وكل ما تحبه من الإرشادات والزيارات والغذاء تطلبه من المطوّف وهو يقوم باللازم ، وإن شاء الله تعود بالسلامة[١] .

فى مكة سكرتير وزارة المالية اسمه الشيخ أحمد على الموصلى ، رجل عظيم سمح الوجه لطيف العشرة فى غاية الأدب صاحبى ، فإذا قابلتَه أو طلبتَ من المطوف مقابلته فأبلغه منى عاطر السلام وشديد الشوق ، ثم لاتنسى فى الحرم وعلى عرفة وفى المزدلفة وفى منى ، وسلامى إلى حضرة السيد الصالح محمود بك شفيق[٢] ومحمد أفندى الفيل ، الذى سيحج هذا العام ، والسيد محمد أبو الحسن الشرقاوى وجميع المحبين ، ولا تنس حضرة الفاضل مصطفى بك بغدادى ، وأسأل الله أن يسهل لكم الزيارة ، فإن سهل لكم هذا ووصلتم إلى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وقد حنت الروح وظهرت الأشجان على الأعضاء وعلى مشاعركم فاذكرونا

---

(١) كل ما يقصده من هذا النصيحة بالاقامة فى الحرم ليل نهار فى أدبه الرائع .

(٢) محمود باشا شفيق ، وكان أمير الحج .

بخير وادع الله لنا ، وأبلغوا حضرة الرسول سلامنا وسلوه الرضا عنا .

هذا وقد أبلغت أخواتكم والعائلة سلامكم ، والكل يدعون لكم بخير وعافية وسلامة الوصول والعودة بالسلامة ، ولو أن أخاكم الدكتور أحمد كان يرجو تأجيل ذلك لكنه يرجو لكم الخير كله و بلوغ الأمانى .

وأرجو أن أراكم قبل سفركم لأتمتع برؤياكم وأودعكم ، فإن تيسر لى حضرت و إلا فمع السلامة ،وسلامى للعائلة والأنجال ، والسلام عليكم ورحمة الله . والدكم

عبد السلام الحلوانى

فأى والد يصل أدبه فى معاملة أولاده إلى هذا الحد من : التواضع والحب مع النصح الذى يصل إلى أعماق القلب و يقوّى الهمة نحو البر والأعمال الصالحة .

وله مكاتبات كثيرة عند كثير من الناس كنا نحب أن يتسع وقتنا إلى طلب الاطلاع عليها من محبيه الذين لايهملون هذه

المكاتبات القيمة ، ففيها عظة وعبرة وصورة من صور أعمال هذه النفس الكريمة .

وهذه الرسالة هى مسك الختام فى رسائله التى أحفظها وأعتز بها وأنظر إليه فيها وهو يهضم نفسه ويتهمها وهو من الله بمكان عظيم ؛ فليكن لنا به أسوة، وما أحسنها من أسوة !

٨ — من كلامه رضى الله عنه فى الروح وتدرجها فى الترقى (١)

الروح إذا سبحت نظرت ، فإن نظرت ذكرت ، فإذا ذكرت بدأت ، فإذا بدأت دأبت ، فإن دأبت عرفت ، فإن عرفت شربت ، فإن شربت شكرت ، فإن شكرت سكرت ، فإن سكرت طربت ، فإن طربت طارت ، فإن طارت سارت ، فإن سارت باحت ، فإن باحت فاحت ، فإن فاحت ناحت ،

---

(١) الروح إذا سبحت أى تفكرت ، نظرت من قول الله « قل انظروا ماذا فى السموات والأرض » فإن نظرت ذكرت الصانع ، فإذا ذكرت أسماءه بدأت فى ذكرها ، فإذا بدأت دأبت على الذكر ، فإن دأبت عرفت حلاوة الذكر ، فإن عرفت شربت من شراب الذاكرين ، فإن شربت شكرت مولاها على الهداية ، فإن شكرت سكرت من لذة الذكر ، فإن سكرت طربت من لذة الأحوال ، فإن طربت طارت وجدانا ، فإن طارت صارت فى السبيل السوى ، فإن صارت باحت بما يعتريها ، فإن باحت فاحت من رائحتها ، فإن فاحت ناحت على ما فرط منها .
=

فإن ناحت راحت ، فإن راحت فاءت ، فإن فاءت باءت ، فإن باءت تابت ، فإن تابت طابت ، فان طابت غابت ، فان غابت فطنت ، فان فطنت عادت ، فان عادت طلبت ، فان طلبت درست ، فان درست علمت ، فان علمت وقفت ، فان وقفت شخصت ، فان شخصت خافت ، فان خافت اطمأنت ، فان اطمأنت لامت ، فإن لامت رجعت ، فان رجعت رضيت ، فان رضيت فازت ، فان فازت دخلت ، فان دخلت درجت ، فان درجت عبدت ، فإن عبدت استقرت . و «الْجَنَّةُ هِيَ الْمَأْوَى» «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ» .

فإن ناحت راحت تتخبط ، فإن راحت فاءت لا تدرى ، فإن فاءت باءت إلى أمر الله ، فإن باءت تابت بنعمة الله ، فإن تابت طابت من الذنوب ، فإن طابت غابت فى سبيل الاستقامة ، فإن غابت فطنت لا تميل لغير الله ، فإن فطنت عادت لمعرفة الصواب فإن عادت ، طلبت من الله المعونة ، فإن طلبت درست العلم ، فإن درست علمت حتى تصدر عن حق ، فإن علمت وقفت للحدود ، فإن وقفت شخصت إلى الله بحق ، فإن شخصت خافت منه سبحانه وتعالى ، فإن خافت اطمأنت « يا أيتها النفس المطمئنة » فإن اطمأنت لامت نفسها على الماضى وخافت الرجوع إليه ، فإن لامت رجعت إلى ربها بثبات وصدق ، فإن رجعت رضيت راضية بربها ، فإن رضيت فازت مرضية ، فإن فازت دخلت فى عباد الله ، فإن دخلت درجت فى العباد ، فإن درجت عبدت عبادة حقة ، فإن عبدت استقرت الروح فى الجنة و «الجنة هى المأوى . ولمن خاف مقام ربه جنتان» .

٩ — من كلامه رضى الله عنه فى النفس وتراجعها [١]

النفس إذا سبحت عميت ، فان عميت غفلت ، فاذا غفلت شردت ، فان شردت بدأت ، فان بدأت دأبت ، فان دأبت نأت ، فان نأت شربت ، فان شربت سكرت ، فان سكرت طربت ، فان طربت طارت ، فان طارت سارت ، فان سارت فاحت ، فان فاحت ناحت ، فان ناحت شكت ، فان شكت أوبقت ، فان أوبقت باءت ، فان باءت شطحت ، فان شطحت نطحت ، فان نطحت جرحت ، فان جرحت أدمت

---

(١) النفس إذا سبحت فى الدنيا عميت عن الآخرة ، فإن عميت غفلت عن ذكر الله ، فإذا غفلت شردت عن الحق ، فإن شردت بدأت فى الشر وطلب الدنيا ، فإن بدأت دأبت زادت فى الطلب ، فإن دأبت نأت عن الخير ، فإن نأت شربت شراب الهالكين ، فإن شربت سكرت بحب الدنيا ، فإن سكرت طربت باللهو ، فإن طربت طارت إلى المهاوى ، فإن طارت صارت إلى حيث لايعلم مصيرها ، فإن صارت فاحت أعمالها ، فإن فاحت ناحت من الخسران ، فإن ناحت شكت مما حل بها ، فإن شكت أوبقت غيرها ، فإن أوبقت باءت بالخسران ، فإن باءت شطحت تخبطت ، فإن تخبطت نطحت لعدم اهتدائها ، فإن جرحت أدمت النفوس

فان أدمت قتلت ، فان قتلت أجرمت ، فان أجرمت طغت ، فان طغت بغت ، فان بغت آثرت ، فان آثرت هزمت ، فان هزمت صاحت ، فان صاحت راحت ، فان راحت وقعت ، فان وقعت فطنت ، فان فطنت ندمت . « فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى » .

ولقد كانت له رضى الله عنه جملة مكاتبات بينه و بين كثير من الإخوان تبلغ الآلاف ، وكانت تستنفد من وقته ولكنه كان يكتبها مسرورا راضيا لوجه الله الكريم فى توجيه تلاميذه إلى ناحية الخير وتهذيبهم بأدب كامل .

وممن حفظوا رسائله باهتمام أحد الآخذين عليه وهو حضرة الأخ الصالح والتقى الورع الحسيب النسيب سالم بك عمر جمعه

فإن أدمت قتلت غيرها ، فإن قتلت أجرمت ، فإن أجرمت طغت ، فإن طغت بغت ، وإن بغت آثرت الحياة الدنيا ، فإن آثرت هزمت بعدت عنها العافية ، فإن هزمت صاحت من خسران العاقبة ، فإن صاحت راحت تلقى حتفها ، فإن راحت وقعت فى الحساب ، فإن وقعت فطنت النفس الى ظلمها ، فإن فطنت ندمت حيث لاينفع الندم ، « فأما من طغى وآثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هى المأوى » .

من أعيان الإسكندرية ،وقد كانت تربطه بأستاذى أواصر الود المتين والحب المكين ،وقد تفضل فأعطانى ملفّ هذه المكاتبات التى تنوف على الثلثمائة لأختار منها بعض الرسائل و بعض ما ورد فيها من العظات والحكم البالغات لينتفع بها من اطلع عليها أوليسر بها أهل محبته الذين يتلذذون بحديثه ، وكنت أحب أن أثبت كثيرا منها ولكن لايسع الكتاب كثيرا فى هذا الباب لأنها تحتاج إلى كتاب خاص فسأثبت منها قدرا يسيرا، وأشكره على هذا التفضل، أطال الله فى عمره وجزاه عنى وعن إخوانى وعن المسلمين خير الجزاء كما أثبت بعض مختارات من رسائله رضى الله عنه وندعو الله أن يسامحنا فى نشرها لأنه كان يكتبها بلا تمنيق ولا تحبير ، بل يكتبها بحالة عادية ولم يكن يخطر له على بال أنها ستنشر على الناس ، وهى فى ثوبها هذا جميلة جمال الحق فى جوهره الطاهر من تلوين المظاهر .

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة سيدى الأخ العزيز المحترم سالم بك حفظ الله مهجته وأدام بهجته .

تحيتى لروحك أكبر من تحيتى لأشباحك ، تحية الجسم تحية ظاهرة ، أما تحية الروح فتحية باطنة ، تشعر بها الأرواح (ولا يعلمها إلا بارئ الأرواح) التى من جنسها ، والتى شربت من مشربها ، تجدها وإن تفرقت مساكنها فى الدنيا ، فانها أسراب ظاهرة فى عالمها فى الحياة ويوم القيامة ، تعرف ربها ولا تعرف سواه ، وهناك أرواح تتعلق بأرواح الصالحين ، وتتهافت على أعمالهم ، ولكنها سابحة فى أعمال الدنيا ، مخلدة للمحبين ، وهذه درجة ثانية تكون مقبولة ، تتبع يوم القيامة سربا من أسراب الشفعاء ، وربما تحتار فى أى الجهات تتبع ، وأكبر ناج من اتبع المصطفى صلى الله عليه وسلم فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من أتباعه ، مع من عرّفنا به وبحبه ، وجمعنا عليه وعلى حبه ، فان أرسلت إليك تحياتى ، فانما أرسلها بحب الروح الخالصة

لوجهه ، وأرجو من الله سبحانه وتعالى ، أن يجعل مقام محبتى مساويا لمحبتك له ، حتى تشعر روحك بإخلاصى لك ، راغبة فى أن تعمل عمل المحبين لله الذين لايلجأون إلا إليه سبحانه وتعالى ، فأنا إن شكرتك على تلك العقيدة السليمة الصادرة من قلب محب لله ، يظن فينا خيرا ، إنما أشكر الله سبحانه على نعمته علىّ بإخلاصى لكم ، حتى قذف فى قلوبكم من محبتكم له شعوركم بهذا الإخلاص ، الذى أسأله سبحانه وتعالى أن يديمه مستمرا إلى يوم القيامة لوجهه العزيز ، وأن يجعل شفيعنا يوم القيامة هو النبى صلى الله عليه وسلم الذى من تمسك به و بشريعته نجا ، إنه كريم ، فهل تقبل هـذه التحية ؟ وتتقبل تحيات آلى وأنجالى وأصهارى والمحبين وتسمح أن تبلغ الآل والأنجال تحياتى ؟ أظنك لاتبخل بهذا مع تبليغ السلام لحضرة الأستاذ الشيخ أحمد غلبون والشيخ عبد الحميد والشيخ على والحاج فهيم منى ومن المحبين ، والسلام عليكم ورحمة الله خالصا مخلصا ، أيدكم الله بنصره ،

وزادكم من نعمه ، ورزقكم الهناء والاطمئنان بنجاح الأنجال مع سلامى للدكتور عبد السلام حفظه الله .

المخلص

١٩٣٩/٥/١٨ عبد السلام الحلوانى

بسم الله الرحمن الرحيم

حضرة أخى العزيز المفضال سالم بك عمر جمعه

تحية وسلاما وشوقا ، وبعد فسبق أن كتبت لحضرتكم خطابا وأنا متعب عقب دوخة حصلت لى ،ولم أتمكن من أداء الواجب نحوكم ولكن لا تؤاخذنى فإن صحتى هذين اليومين على غير ما نبغى فعذرا ، وأسأل الله لكم الهناء والاطمئنان ، بلغنى أنكم نقلتم فى ضواحى البرية خوفا من الغارات فأسأل الله لكم راحة البال وتحسين الأحوال ، إنما نحن لازلنا ننتظر حضوركم للتمتع برؤياكم والاطمئنان عليكم ، أما أنا فمتوكل على الله وهو المُسَلِّم .

اللهم إنى أسألك الثبات على الإيمان حتى يكون قلبى فى أمان ، اللهم املأه حبا فيك حتى يكون راضيا بقضائك موقنا بأنه لا حركة ولا سكون إلا بأمرك وقدرك ، سبحانك لاشريك لك ، لك الأمر من قبل ومن بعد . اللهم إنى أسألك بحبيبك المصطفى صلى الله عليه وسلم أن تبُث الإيمان فى قلبى بثا فتجعله فى أعضائى وأحشائى وفؤادى وروحى منبثا . اللهم جنبنى الهموم وادفع عنى جيش الشيطان فلا تجعل له علىّ سبيلا ، اللهم لا تجعل قلبى له هدفا حتى يتسلط عليه بمعداته ومصوّباته ، فإنى ضعيف لا أتحمل القصاص فيصوب علىّ الرصاص فإنى موقن بأن المعاصى تزيل النعم ، وأنعم علىّ بشكرك على نعمك خصوصا نعمة الإيمان فإنى موقن بأنك سريع النقم لمن لايشكر نعمتك ويرعاها بترك المعاصى ، فلا تجعل للشيطان علىّ سبيلا واجعل قلبى شديد الإيمان بك فلا يعبأ بحرب الشيطان ومعداته ، ولا بندقياته ولا رصاصاته ، فلا يتعتعه تعتيعة ، ولا يخوفه بعبيعة ، لاطبنجة تزعجه ، ولامدفع يفجعه ، ولا يهمه المفرقعات ولا تدهشه المترليوزات ، لا رشاشة ترشه

ولا دبابة تفشه، لا بارجة ترجه ولا لغم يزجه ، ولا مغناطيس يجذبه ولا غواصة تضربه ولا نسافة تنسفه، ولا قاذفة تقذفه ، ولا طرادة تطرده ولا مدمرة تفسده ، ولا غارة تكربه ولا صفارة ترعبه ، لا كمامة تخنقه ولا غاز يحرقه ، لا طيارة تناوئه ولا مظلة تفاجئه ، لا قنبلة تفزعه ولا شظايا تفجعه لا طابية تقوى عليه ولا حصن يقوى لديه ، ولا خط من الاستحكامات يعوقه ، ولا رباط من رباط الخيل يفوقه ، ولا سيف عليه يصول ، ولا عدو عليه يجول بل هو بقوة الله يصول ويحول ، فقوة الله هى الحصن الحصين ، والركن المكين ، وهى القوة والعدة ، وهى الحبل المتين ، فاجعلنا يا مولانا بها نتمسك ونفوز ومن جميع المصاعب نجوز « قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا » ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

أسأل الله لى ولكم العافية والوثوق بالله وأن يجعلنا وإياكم من المطمئنين به المتمسكين بحبه وحب نبيه صلى الله عليه وسلم وأن يهدينا وإياكم سواء السبيل .

١٩٤٠/٦/٢٩ عبد السلام الحلوانى

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليكم ورحمة الى و بركاته :

حضرة السيد الجليل ، والأخ المحترم ، سالم بك جمعه ، حفظه الله وأدامه .

تحيات وتسليمات وأشواق زائدات ، لشخصكم المحترم المحبوب ، و بعد : فأعتذر وأرجو قبول الاعتذار ، غادرتمونا بسلامة الله والقلوب متعلقة بكم ، ولم يمكنى أن أكتب كما أمرتمونا للمشغولية بوجود الإخوان والناس ، وقد أردت الكتابة بعد سفر السيد العزيز عبد الوهاب بك أبو النصر لإعطائها للشيخ عبد الحميد فصادف حضور الدكتور ، وشغلنا بالسلام وسلام الناس عليه ، فلم أتمكن ، فأردت الكتابة بعدها ، فصادفنى إعياء رقدت له يومين ، فهذه إرادة الله ، فلا تؤاخذنى ولست مقصراً ، ولقد كان أمامى جملة خطابات تحتاج الرد ، ومنها خطابات حضرتكم وخطاب لأخى عبد الرءوف ، فلم أجد وقتاً أرد فيه ، ذلك تقدير العزيز العليم .

أحضرت جواب أخى ، لأرى هل يمكننى الرد ، فوجدته مكتوباً بما جاش فى صدرى أن أكتبه لكم ، ولكنه طويل جداً ، بدأه بقوله : سلام هو الإخاء ، المتفجر من شغاف الأحشاء بالحنان والإخلاص ، وتحيات لا تنبعث إلا من حنايا القلب ، والتضاعيف الروحية هامية بالعطف ، مؤتزرة بالقربى ، وشوق يتوقد من حب قد أضاء بالجوانح ، فملأها بالمنى والأمانى وحب قد ارتكز على أوتار أرومته ، فكان وتره العازف على قيثارة المشاعر ، فأحدثت نبراته فى القلب حناناً جياشاً ، سندسىّ العناصر ، آسىّ الأواصر ، فكأنه النور من لألائك إلى آخر ما قال : فقد كتب عنى ، لك منى ، ولقد فكرت كيف أكتب والقريحة كاسدة ، والفؤاد عاتم ؛ والقلب مظلم وظالم ؛ فصرت أستعرض حلقات الحياة ؛ وما كان فيها من انتباه ، والآن وقد ردّنى الله إلى أرذل العمر ، وقد فترت الهمة ، خصوصاً فى الأحوال المهمة ، كرد الجواب لكم يا أعز الأحباب ، لكنى طلبت من الله ، بجاه النبى الأوّاه ، رفيع الجاه ، صلى وسلم

عليه الله ، وسلم على آله وصحبه ومن والاه ، أن يكشف غمتى ، ويزيل كربتى ، ولما لم أجد فى ذهنى كلاما ، مسكت كتابا أمامى ، عسى بالمطالعة يفتح الله علىّ ، فإذا به مختار الصحاح ، فقلت: يا للعجب هذا مختار الصحاح وهو لا يصلح لمثلى المكسر ، لكن على الله الجبر ، افتحه عسى أن تجد فيه شيئا ينفعك ، ففتحته فوقع نظرى على مادة « مدد » فقلت لنفسى عال ، هذا إرشاد لطالب المدد من الشيخ ومن الرسول صلى الله عليه وسلم ومن الله سبحانه وتعالى ، فمددت يدى عسى أن أجد المادة ،وهى الزيادة المتصلة ، وفى الحقيقة أمدَّ الله فى عمرك وزاد فى نعمتكَ، إن التوفيق فى الذكر والعمل الصالح لا يكون إلا إذا أخلى الإنسان قلبه ، ولو بعد صلاة الغروب ، واستجمع نفسه إلى الحضور فى حضرة الشيخ ، واستأذنه فى عمل الآخرة الذى يريده ، سواء كان ذكراً أو طاعة أو ورداً أو قرآنا وطلب منه المدد ، ثم استأذنه واستحضر النبى صلى الله عليه وسلم وطلب منه المدد ، ثم استأذنه خاشعا فى حضرة الله وطلب منه المدد والإذن فى

الوقوف فى حضرته لأداء الطاعة ، ثم يبتدىء بطاعته إلى أن ينتهى ، فيقول : اللهم إن ذكرك لا يُمَل ، فارحمنى يا أله ، دستورك يا أله ، ثم يلتفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم ويقول : دستور يا رسول الله ، ثم يلتفت ويقول : دستور يا شيخى ، السلام عليكم ورحمة الله ، فى هذه الحالة يرى أنه حصل له مَدّ ، أى سيل من النهر أو من أنهر ، وشعر بسرور لا يقدر ، وانفتحت له البصيرة ، وصار يرى ببصيرته ، وامتد بصره إلى بعيد ، فأنت رجل مديد القامة والباع ، سريع الاتباع ، للنبى المطاع ، حفظكَ الله وجعلك له من الأتباع ، فى الدنيا ويوم الأسماع ، وأعطاك عطاء جزيلا فتعطى به تمدداً ، فتكيل مما أعطاك الله إياه مكيالا ، بل ومكاييل مُدًّا بعد مد ، إلى أهلك وذويكَ ومحبيكَ ، ويدوم ذلك دائما لا مدة من الزمان ، أى برهة منه ، بل تستمد على الدوام ، كما يستمد القلم من المداد ، ولا يخفاك أن عطاء الله لا ينفد ككلماته التى لا تنفذ « قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى » وأنت إن

شاء الله ممدود منه ، خصوصا باتباعكَ شرع المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وسيكون قربكَ منه قريبا إن شاء الله ، وتراه وتتمتع به ، وتمتد منه حتى تمد غيرك ، فقد يكون المدد من الله سبحانه وممن أمدهم . قال تعالى : « وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ » فيكون لك ومنك النور والسرور ،أبعد الله عنا الشرور ، وطهر قلوبنا من المـدَّة ، وهى قيح تورثه الذنوب ، ونجانا من الكروب والعطوب ، وجعلك دائما مطمئن النفس ، تتبع البر كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم «البر ما اطمأنت إليه النفوس» وستنجلى عروس ،ويزول البوس ،ور بما تمر أيام ، وفيها التزام ، للقبض على الزمام ، أو ربما تمر حوادث الظروف بشيء من الخوف ، فعليك بحسن التوكل ، واستشر قلبك بما يطمئن إليه ، وإذا استحضرت النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم استشرت قلبكَ واطمأن إلى شيء كان هو المراد ، ثم لا تقل أنا أفعل كذا مع النبى صلى الله عليه وسلم . أما عن

حضرة النجل محمد بك حفظه الله[1] ، فإن شاء الله ناجح بتفوق ، وإنى أراه بقلبى يرقى الدرجات العلى ، وقد رأيت بقلبى أيضا أنه صاعد إلى الوزارة « وزارة من الوزارات » فارتقى سلم الوزارة ، وكان فى الأول هَيَّابا ، وأنت صاعد ثم ناديته فأسرع ، ولذا أسأل الله سبحانه وتعالى أن يرقيه ، وأن يكتب له السعادة .

والسلام عليكم ورحمة الله المخلص

٩٤١/٥/٢٨ عبد السلام الحلوانى

مختارات من بعض ما كتب للإخوان

(١) أما الشوق فشوق يؤدى للجمع ، والجمع لا يكون إلا بالجمع ، والجمع جمع القلب على الله ، فإذا كان شوق فلا يكون إلا لله ، فإن تعدى لإنسان فلا يكون إلا بجمعه على الله فلا يكون شوق لإنسان إلا لمحبة لله ؛ فهو بالله و إلى الله وفى الله وعلى الله وبالله ، فإذا كان عندى شوق فمظهره أنت ومنك طوقت جيدى

---

(١) كان طالبا بكلية الحقوق ، وهو الآن وكيل نيابة بدمنهور .

وعَرَفْتُك بالله ، فإذا توجهت إلى الله ، وجدتك أنت مع الله ، فإذا عرفتَ إنسانا لا تعرفه إلا لله ، فالله سخرك لهم ، وجعلك إن أحببت أحداً الطاحون تدور عليه ، وجعله الحجر يدار عليه ، فإن أدَرَّ شيئا على الحجر ، فإنما الدر أصل البر ، والبر من أصل السر فلا بر إلا من البر ، وكله لله ، فمعاملتك لله وليست للناس .

(٢) فكن معه واصطبر لعبادته ، فقد قالوا: إن الاصبطار نهاية الصبر، ومن صبر ظفر ، ومن لازم وصل ، ومن أدمن قَرْعَ الباب يوشك أن يفتح له ، والشجرة إذا أورقت أزهرت ، فإذا أزهرت وكانت من شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء أدركت ، فإذا أدركت أثمرت ، والثمرة هنا الاعتقاد الكامل ، ثم المعرفة ، والوقوف مع الله عند حد الأدب ، فالله سبحانه وتعالى مالك الملك فنحن فى ملكه، وواجب علينا خدمته سبحانه وتعالى ، فإذا عبدناه فإنما نحن عبيد مفروض علينا عبادته أى خدمته ، ولا نبغى بذكرنا وعبادتنا إلا أننا خدم وعبيد ، والله يفعل فينا ما يريد ، لا نبغى بذكرنا وعبادتنا أىّ ثواب ،

ولا نخاف من عقاب ، بل نرضى بما قدره وقضاه ، فليس الأمر لسواه جل وعلا ، وهو الرحمن الرحيم .

(٣) والسلام على سيدنا محمد بحر الجود ، الذى شرب من شرعه قوم وقفوا على ساحل بحره الزاخر ، فلم يخوضوه خوف الغرق ، ولكنهم وقفوا للشرب منه عند الشرق ، فكل من عطش واشتد به العطش شرب من بحر الرسول فارتوى ، وكل من ارتوى أدرك بأثر الرى أنه ضعيف ذليل ، ولا يمكنه أن يشرب البحر « وهو الشرع » فيبوء بعجزه إلى الله ، ويقف عند حده عاجزا أمام الله ، خاليا فى التوحيد من كل دليل عقلى أو نقلى ، متبرئاً إلى الله تعالى من نسبة العلم أو الدليل ، خاليا من الأقوال والأفعال ، وفى اصطلاح هؤلاء القوم قصد الحق مجردين عن الشواغل ، متطهرين من العلل ، مثل من يحج ، فاذا نوى الحج خلع كل نية أخرى ، وفسخ كل عقد عقده منذ خلق ، ما يكون غير نيته الحج إلى الله والوقوف بين يديه خاليا من كل الشوائب ، فإذا نزع لباسه تجرد عن كل شىء ،

فاذا تطهر زال عنه كل علة ، فإذا لبّى سمع بقلبه جواب التلبية فتلذذ بالنداء ، فإذا دخل الحرم ترك كل محرّم ، فإذا أشرف على مكة أشرف عليه حال من الحق ، وعلامته البكاء ، لأن الملائكة تحفه ، فإذا دخل المسجد دخل فى قرب من الله سبحانه وتعالى ، فخشع وطاف ورمل هاربا من الدنيا ، ورجع وسكر ، وركع بعد أن صافح الحق بمصافحة الحجر ، كما ورد فى الأثر ، فظهر عليه الأثر ، ومن ظهر عليه الأثر نال الرضا ، واستشعر أنه تحت العجز عرف واعترف ، وترك أمره لله ، وصفا له الحال ، وافتقر من الدنيا مالاً وعلما وعملا واغتنى بالمآل ، مآل الخادم عند مولاه ، يصيره كيف يشاء و يضعه فى مكانه كما شاء أن يجعله من خدامه ، والله رءوف رحيم ، فمن عرف القوم وسار بسيرهم نجا ، وكان مع شدة الخوف كثير الرجا .

(٤) باسم ربى أحييك بالسلام ، سلام الروح الخالية من الخيال ، ومن الحيلة والأحوال ، إلا من الله الواحد ذى الجلال ، سلام من عبد السلام ، عبد يفخر ويزيد تيهاً وعلوًّا ، بأنه

عبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد ، هنيئاً له ، لأنه خلقة الله ، أسألك يارب حيث خلقتنى من عبيدك ، منتسبا إليك أن تجعلنى من فريق الجنة ، وما أطلبها إلا لأنها مكان قربى منك ، ولا تجعلنى من فريق السعير ، لأنها تبعدنى عنك ، وإن كان قَدَرك قد سبق ، ولكنى أسألك اللطف فيه ، أنت المسيطر ، ولك حضرة الإطلاق تفعل ما تشاء ، سبحانك لا إله غيرك ، ولا معبود سواك يا حى يا قيوم .

(٥) من تفكر فى دينه سلك ، ومن حافظ على آداب الطريق فى سيره إلى الله ملك ، وكان فى أفعاله كالملَك ، سبحان من أدب النفوس ، وأرسل لها العروس ، وأنزل الكتاب كالطروس ، فكان طبيب النفوس ، كتاب أحكمت آياته ، ونطقت بيناته . وكل إنسان بنياته ، له هبة موهوبة ، وأمور فى الدنيا مطلوبة ؛ فمن أسعده الله أعطاه ، ومن وفقه إليه أغناه ، إليك أرغب ، وإياك أرهب ؛ اللهم ألهمنى الصواب ، واجمع قلوب الأحباب على الباب .

(٦) اعلم أن طريق شيخنا رضى الله عنه ، طريق الذكر فقط وليس غيره ، ففيه الفتح ، وفيه الطلب ، وفيه قضاء الحوائج ، وهو منه وإليه ، وبه كل شيء ، فإذا أمرتك بشيء غيره فاضرب عنه صفحا ، واتبع الذكر فى الأسماء ، العلو إلى السماء ، قلبك مع ربك ، وربك معك ، فليس بعيدا عنك ، يقربك إليه ، ويعرفك به ، ومن عرف الله عرّفه الحكمة ، ومن سلك سبيلا غيره وكان يجهل بحره ، جره هذا السلوك إلى الشكوك نجانا الله منها « إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلاً »

(٧) إن القلوب لها معان فى مناجاتها ، تتعارف بها الأرواح الخاصة ، وتتفهم دقائقها فى صفاتها ، إذ تنعكس أشعة الأرواح على بعضها ، فترى بنور الإيحاء الرحمانى ما لا يراه غيرها ، إذ تتفاوت الأرواح بين الأحباب وأولى الألباب ، واللبيب من لَبَّ أى أجاب مولاه فلباه ، وأعطاه قوة إدراك النفوس فيدرك من معانى القلوب ما تتناجى به ، سواء بين العبد وأخيه ، أو بين العبد وربه ؛ وهناك فى القلوب خبايا وخفايا وأسرار لا يعلمها

إلا الله ، ولو شاء لأطلع بعض الأخصاء على بعض القلوب لحكمة يعلمها ، وبالجملة فهو ستار غفار .

(٨) ومن كلامه لبعض إخوانه :

فلا يهدأ لك بال ، إلا أن تشكر الله تعالى بإسداء المعروف عليهم مما أنعم الله به عليك ، فترى من واجبات الحمد والشكر لله على نعمه الوافرة الجود مما جاد ، ليكون لك الزاد فى الميعاد ، فنعم الحمد ونعم الشكر ونعم الزاد ، «وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى» هذه منّة أنعم الله بها عليك تغبط عليها ، ولا أقول غير ذلك ؛ ومرة أردت أن أقوم بالصب على بربرى عجوز للوضوء وكان بوابا تحت إمرتى ، فلم يشأ منى وانتظر حتى أتم وضوءه ، ثم قال: يا بنى إننى لم أرد حرمانك من الثواب ، وأطلب لك من الله أن يكثر نعمته عليك ، وأنت يا سيدى تدرك ما أقول ، فقد أفضت علىَّ ، والسلام .

(٩) وكتب لبعض أحبابه :

« يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْماً لَا يَجْزِى والدٌ

عَنْ وَلَدِهِ ، ولاَ مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئاً إنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ » خلق الخلق وسبب الأسباب ، وقضاؤه نافذ ، خلق أبا البشر فتناسل وتسلسل التناسل إلى وقتنا ، فهو سبب لوجود الخلق ، ولكن كل فرد مسئول عن عمله « فَإِذَا نُفِخَ فِى الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ولاَ يَتَسَاءَلُونَ » « الدنيا ملعونة ملعون مافيها إلا ما كان لله » وفى رواية أخرى « إلا ذكر الله وَمَاوَالاَهُ » فلا أنا مسئول عن عمى ابن أبينا آدم ، ولا خالى أخو بنت أمنا حواء مسئول عنى ، إنما هو قضاء وقدر على جميع الخلق ، ينفذ فى ظروفه على كل فرد ، بما قدر له فى الأزل ، وعلى كل الورى يجرى القضاء ، و إننا نسأل الله اللطف فى القضاء ، وأن يفقهنا فى ديننا ودنيانا ، ويوحى فى قلوبنا الخير لنسير على منهجه القويم وشرع نبينا الكريم ، فلا نجد فى قلوبنا سواه ، فنتبع هداه .

(١٠) وكتب وصية لوالد :

وبعد ، فلكل فرد خطة مقدرة ، يرعاها الله فى سير العبد ، وقد رزق الله الآباء والأمهات رحمة فى قلوبهم لأولادهم حتى

يقوموا بما قيضهم له، وللأسباب مسببات ، وكل شيء بأمره ، فبعد انقضاء الأمور حسب المأمور ، منها التربية والنجاح والفلاح واستتباب الأمر لكل فرد ، قام كل منهم بما قدر له وسار فى سيره ، وحينئذ « لَا يَجْزِى والِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، ولَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ والِدِهِ شَيْئًا » و إنما الغرض أن يجتهد الوالدان فى حالة الكفالة إلى أن يكون الولد من أهل الصلاح والفلاح .

(١١) الشكر لله دقيق فى توجيهه إليه ، فالشكر باللسان مأمور به الإنسان ، والشكر بالقلب نعمة أنعمها المنان ، وهو قسمان : قسم على النعم الظاهرة ، وقسم على النعم الباطنة ، وهناك قسم آخر يرتقى إليه طالب ربه فيرى ربه متكلما به قبل أن يراه فيحمده على ما أعطاه ، توجيه القلب للبارى نعمة يرى بها النعم فيفرزها ويراها على نفسه ، فإن فقّهه الله فيها وجد أن التقدير فضل كبير ، « ولو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع » .

(١٢) ومما كتبه لبعض أحبابه :

أحمده سبحانه وتعالى وأتوب إليه ، وأصلى وأسلم على سيدنا

محمد بن عبد الله الرءوف بالمؤمنين ، وعلى آله وصحبه وشيخنا والتابعين ، لقد قالوا : إن للذكر نورا يظهر من الباطن إلى الظاهر وتكون له بوادر وطوالع ، فيكون هناك إشراق على الوجه يجذب الأرواح فتكون الطوالع طوالع تتلعلع فى جبهة الذاكر ، وتكون دليل الذاكر فى أحواله وكلامه ومخاطباته ، وتكون باب الهداية للغير ، فإذا ترقى الذاكر اشتد إلهامه ، وهكذا يترقى بعد الأحوال إلى مقامات القرب حتى يتحول من النظر إلى الدنيا إلى الآخرة ، فلا يكون بينه و بين الله حجاب ، فتكون روحه مع الله سبحانه وتعالى ، فلا يرى غيره و يتحول الإشراق من الظاهر إلى الباطن ، فبعد أن كنتَ ترى الولى مشرقا تراه وقد انطفأ إلى الحالة العادية حتى لتناجى نفسك أين النور الذى كنت أراه ولا تدرى أنه مع الله ؟ زهد الخلق وتركهم وترك أحوالهم ، فلا يعلمه إلا الله ومن ماثله فى ترقى الدرجات والمقامات ؛ أما من وقف عند حد واكتفى أو فرح من الدنيا بما أعطاه الله فهو والخلق سواء ، بل لقد فرح بما أعطى فى الدنيا للدنيا ، وقد يحاسب عليه

يوم القيامة حسابا عسيرا ، وأنا أبرأ إلى الله مما أقول بغير حق ؛ فأوصيك بالتقوى وطلب المزيد فى الأعمال الصالحة من الله ، فهو المعطى سبحانه وتعالى وجِد واجتهد ، ولا تقل عملت كذا أو طلبت كذا ، بل خذ لك ساعة من نهارك أو ليلك ، وحاسب نفسك بين يدى ربك ، وعلمها الأدب معه ، واستصغر نفسك أمام الله فلا تعرف سواه ، فهو العليم الحكيم القادر المقتدر ، وارض بقضائه وقدره ، وكن مع القضاء حيث أراده الله لك ، واترك أمورك بين يديه ، ولا تقل إن من المسائل التى أحب أن تنتهى لأستريح ، مسألة فى نفسك قضاها وأنت لاتملكها ، فإنك لاتعلم الخير فى تعجيلها أو تأجيلها ، ولا تدرى ما هو مدخر لك عند الله ، فرب ضارة نافعة ، وربما تتعجل الأمور ولكن فى التأخير خير ، وربما تريد فى البيت أمورا ولكن قضاء الله غير ذلك ، وربما تريد التأجير والتمليك أفضل ، وهو مدخر لوقت آخر ، فالتسليم لله أفضل ؛ أمّا ما نفذت به إرادة الله وقضيت الحاجة وقت الحاجة ، فهذا ما أراده الله لك ، وما دمت متوكلا

عليه فستره فائض عليك ، وإنما إرادته تنفذ بما يقذفه فى قلبك ويحسنه إليك لتسير فى تنفيذه حتى يأتى الأجل المضروب ، فلا تعرف ستره عليك إلا بعد نفاذ أمره فلا زيد ولا عمرو ، وإنما الأمر أمره ويفعل ما يشاء . واعلم أنك مستور ، والرزق موفور ، والمسائل لاتحتاج إلى مشاكل ، وإنما المشاكلة فى تدبير الأمر لتنفيذ الأمر ، فخذ لك من مجرى النهر سبيلا ، وخطا ممدودا مجرورا من سير الماء حيث تلتقيان فى برزخ لا يكون فيه بغى على أحد ، والله يرعاك فى سيرك مادمت فى قلبك تستشيره وتستخيره ، والبر ما اطمأنت إليه القلوب العامرة بالله ، وحافظ على سلوكك ، فلو سلكت طريقا مستقيما فاتبع السير فيه ولو كان طويلا ، لأن التحول من طريق إلى غيره ربما يكون فيه شوك وأنت لا تدريه.

(١٣) ورثا رضى الله عنه أحد تلاميذه وهو التقى الصالح والعالم العامل ، سليل بيت العلم والمجد الشيخ « أحمد غلبون » من عائلة غلبون الشهيرة بالمغرب ، ولم يكن رضى الله عنه يميل إلى الشعر فقال:

فراقك يا غلبون والله غصة يفتت أكبادا إليك ظواميا

لقد كنت فينا مستنيما وصالحا ... تقيا وللإخوان كنت الموافيا
سليما من الأوزار حقا موفقا ... تواصل ذكر الله فى الليل دانيا
أقمت توالى كل فرد على تقى ... وسرت لتلقى الله بالذكر صافيا
ففى جنة الفردوس روحك ترتقى ... إلى صحبة المختار بالله ساميا
وقد كنت فى الدنيا تراه مواليا ... فعند الإله الحق أكثر رائيا
فيا أحمد الأفعال ظلك وارف ... ستلقى علوًا من إلهك راقيا
ويأيها الإخوان رفقا بحالكم ... فكوكبه الوضاء أصبح خافيا
لقد كان للإخوان والله موردا ... نَدِيًّا وذخرا للملمات كافيا
وكان كمثل السحب يمطر غيثه ... فيصبح وجه الأرض بالزهر زاهيا
وكان نضير الوجه يلمع بالضيا ... وسيما نديا مخلص الود زاكيا
فإن تذكروه فاذكروا العز والعلا ... سجاياه لا تنسى وإن غاب ثاويا
فقدنا مزايا منه كانت ندية ... تشابه فوح العطر أنضر صافيا
ولكننا فيه احتسبنا مصابنا ... وعند إله العرش نرجو المراضيا
ونرجو له الخير الذى هو أهله ... وفى كنف الرحمن ينعم راقيا
فلا زال فى دار النعيم مكرما ... ولا زال عنه الله ذو الفضل راضيا

(ح) كراماته :

إن كرامات سيدى الأستاذ أكثر من أن تحصى؛ فقد كان يلمسها كل الإخوان فى كل آن ، ولا يكاد يفتح بابها فى مجلس من مجالسهم حتى يسوق كل منهم ما وقع له من سيدى مرارا .

و إنى أكتفى هنا بسرد بعض ما وقع منها معى شخصيا على سبيل المثال .

(١) دعوت سيدى لزيارة قريتنا فدخلها لأول مرة واستقبله فى المحطة عدد كبير من أهلها وسار إلى جنبه بعض الأعيان ، وعند ماحاذى منزل أحدهم نظر إليه وقال هذا منزلك يا شيخ حسن، فما كان منه إلا أن دهش وألح على سيدى الأستاذ بدخول منزله للتبرك ، وكنت حينئذ بجوار سيدى الأستاذ .

(٢) كتب لى مرة « ويزيد دخلك فى هذا العام » وكنت حين كتب هـذه العبارة حاصلا من بضعة أشهر على الدرجة الخامسة ، وكانت لاتعطى لنا علاوة الترقية إلا بعد سنة فحدث أن صدر بعد ذلك قرار بصرف العلاوة للموظفين مع التجاوز عن

المدة الباقية من السنة مع أن زملاءنا الذين سبقونا بالترقية مضوا السنة بأكملها .

(٣) عند ما أعلنت انجلترا الحرب على ألمانيا فى أول سبتمبر ١٩٣٩ زرت سيدى الأستاذ وقلت له يقولون : إن مصر ستكون ميدانا طاحنا لهذه الحرب فنظر إلىّ رضى الله عنه وقال : تسألنى عما يدخل فى روعى ، فقلت : نعم ، فقال رضى الله عنه حرفيا : « يدخل فى رُوعى أن مصر لا يصيبها إلا رذاذ » فأخبرت بذلك كل من لقينى يومها من الإخوان ، وهذا ما حدث فعلا رغم تحرج الأمور إلى درجة كان يظن معها أن خراب مصر أصبح محققا والعياذ بالله .

(٤) نقلت فى منتصف سنة ١٩٤٠ من وزارة المالية إلى مصلحة الضرائب ، وكان فى نقلى بعض التحدى فزرت سيدى الأستاذ وكان لا يزال مأمورا لدائرة طوسون باشا بشبرا فسألنى عن حالى فأخبرته بنقلى إلى مصلحة الضرائب فأقسم لى فى تأكيد أنهم سيحتاجون إلىّ فى الوزارة ويضطرون لإعادتى وكرر

رضى الله عنه القسم ، وفعلا تم ذلك وأعادونى إلى الوزارة بعد إلحاح علىّ فى أوائل سنة ١٩٤١ وقدموا لى كل ترضية .

(٥) وعند ما اشتدت الغارات وتوالت على الإسكندرية ومصر ونصحت الحكومة بالهجرة إلى الريف قال سيدى لإخواننا أنا لا أمنع أحدا عن الهجرة ولكننى سوف لا أهاجر وكان رضى الله عنه فى منتهى الاطمئنان . ولما تقدم رومل إلى العلمين قلت له: لقد بلغت القلوب الحناجر ، فقال إن بعض الناس كان عندى وأخبرنى أنه رأى فى المنام أن الألمان دخلوا مصر وصار الناس فى هرج ومرج وذعروا وأخذوا يهيمون فى الشوارع على وجوههم ثم نظر إلىّ وابتسم وقال بالعامية « إلأَدِه ها يحصل لاوالله » . وقد كان من أثر اطمئنان سيدى الأستاذ أن الإخوان اطمأنوا ولم يداخلهم من فزع الغارات الرعب الذى داخل غيرهم حتى كشف الله الغمة عن الوطن العزيز .

(٦) قدم والدى طلبا للحج بالدرجة الأولى أو الثانية فى سنة ١٩٤٣ فلم يقبل طلبه إذ كان التزاحم شديدا على الدرجتين

الأولى والثانية والأماكن محدودة فاستاء والدى لذلك كثيرا وكنت يوم أن رفض الطلب أزور سيدى الأستاذ فسألنى ماذا فعل والدك فى طلب الحج؟ فقلت رفض طلبه واستاء لذلك كثيرا فأطرق رضى الله عنه وقال ولكنى أنا أقول إنه سيسافر فاستبشرت وقلت لسيدى الحمد لله فاستطرد حضرته قائلا إنه سيبذل مسعى وسينجح المسعى، وفعلا حدث أن جاء والدى من الصعيد وبذل مسعاه فى وزارة الداخلية وصرح له بالسفر بعد أن كان الأمل معدوما بينما رفضت طلبات أخرى بذل أصحابها فيها أكبر المساعى من ذوى الجاه .

(٧) كنت مرشحا للدرجة الرابعة وقدمونى على غيرى استنادا إلى مبدإ الكفاءة ولم يكن قد مضى علىّ فى الدرجة الخامسة سوى المدة التى تجيز الترقية ، ولما عرض الأمر على الوزير رأى أن يؤخذ فى الترقية بمبدإ الأقدمية المطلقة فتقدمنى الأقدمون فسألنى أستاذى رضى الله عنه يوما عما تم فى المسألة فأخبرته الخبر فأشار لى رضى الله عنه بأن الوزير سيتغير مع أنه كان ثابت

القدم وكانت الوزارة راسخة بسبب ظروف الحرب ، فما مضت أيام حتى نقل هذا الوزير إلى جهة أخرى وتمت لى الترقية على يد الوزير الجديد دون معرفة أو وساطة .

(٨) طاب لى أن ألازم سيدى الأستاذ فى منزله الرحيب أياما ، ومن عجب أنى أقمت معه شهرين فما خطر ببالى شىء فى هذه المدة الطويلة إلا حققه من تلقاء نفسه حتى إنى كنت أجد على مائدته ظهرا ما كان يخطر ببالى صباحا وكان يدارى كراماته ، رضى الله عنه فى كل مرة ويقول صادفنى هذا الصنف فاستحسنته فأحضرته ، وكانت نفسى لا تشتهى شيئا إلا أمر الخادم باعداده عند وقوعه فى نفسى توًّا .

(٩) وكم حدثنى سيدى رضى الله عنه بأشياء كثيرة كانت مخبوءة فى قرارة نفسى ولم أطلع عليها أحدا وأرشدنى بما يراه فيها فجزاه الله عنى وعن جميع الإخوان خيرا كثيرا .

(ط) مراثيه :

يضيق هذا الكتيب عن ذكر المراثى، ولقد أنشدنا شادينا النورانى فضيلة الأخ الشيخ على عقل القصيدة التالية بمناسبة

الذكرى الأولى لوفاته فنقتصر عليها وقد قال لى أستاذى رضى الله عنه مرة الشيخ على يا فلان من أساطين الطريق :

الحمد لله بالإيمان يهدينا وبالمحبة يرضينا ويعطينا
هدى إلى الحق أقواما وميزهم بالحلم عاشوا وهم بالله راضونا
قوم خلوا بجلال الله وانتهجوا نهجا من الصدق كانوا فيه وافينا
ثم اختفوا عن عيون الناس وابتهلوا
لله واجتهدوا فى الله هادينا
وأدركوا أن نور الله مركزه قلوب قوم لوجه الله ساعينا
حتى إذا ما أراد الله يظهرهم ويعلن الحق فيهم مستفيضينا
ساروا على الهدى والرحمن يكلؤهم
بفيضه وهمو فيه مريدونا
أعلامهم فى سماء المجد قد نشرت ومكنت من قلوب الناس تمكينا
والله علمهم بالشرع فهمهم فسددوا وأقاموها براهينا
وعاهدوا الناس فى سر وفى علن أن يلزموا الحق والقرآن والدينا
من كل سلسلة فى الله سائرة لا تبتغى غير وجه الله تبيينا

منهم شيوخ أعز الله قوّتهم ... موصلين بنور الحق سارينا
فأحمد البدوى الحبر سيدنا ... أصل الطريق و باسم الله هادينا
له مناقب لا تحصى لكثرتها ... ولم يكن خافيا بين المحبينا
أقام لله صرحا من دعائمه ... صدقا وزهدا و إخلاصا وتحصينا
أتباعه ملأت كل البلاد هدى ... فهم على سنة الهادى مجدّونا
وجاء من بعده البيومى سيدنا ... على المرتضى شيخ المفاضينا
سلطان أهل التقى فى عصره وله ... رياسة الكل بين الناس تمكينا
و بعده غفلت أهل الطريق لما
أتى على الناس أمسى الكل مفتونا
أراد ربك يحيي القوم فانبعثت ... آياته بعد إخفاء تواليا
أتى مجددهم يحيي الطريق ومن ... أعطاه مولاه علما ثابتا فينا
أبو خليل أعز الله سيرته ... محمد من لوجه الله داعينا
شهم أشمّ قوىّ الجأش ذو همم ... مصرف سيد بالحق ينجينا
أعطاه مولاه نورا لا حدود له ... فبين العلم والإيمان والدينا
فكان بالفيض والإلهام آيتنا ... للسالكين وكم أحيا مريدينا

وكان سلطان أهل الذكر أجمعهم
أولاده بقيام الليـــــل راضونا

وكم له خلفـــــاء قال قائلهم : إلى هنا تنتهى روح المجدينا
أجلهم منزلا أعلاهم ثقـــة أرضاهم خلقا أزكاهم دينا
أحلاهم منطقا أقـــواهم همما أوفاهم كرما لايقبل الهونا
مؤدب ما رأينا فى مجالسه إلا الـكمال، وسهل إذ يناجينا
عبد السلام وزكى الله تربته
بالطيب والمسك وازدانت رياحينا

قد كان والله بالرحمن معتصما وكان والله يسترضى المساكينا
وكان للفقراء الردء يحفظهم فلا يضيعون بل منه محاطونا
وكان كنزا هنيا لا حدود له شهما زكيا جليل القدر هادينا
أقسمت من كان عن جدٍّ يعاشره لم ينسه أبدا بين المحبينا
أخلاقه فى حدود الدين قد رسمت وكان فى سـنة المختار مأمونا
وكان ينطق عن علم وعن حكم يزجى لنا لؤلؤا بالفيض موزونا
حدثت عنه ولم أكذب وما قدرت
روحى تقـــــدره بين المجدينا

يكفيه فضلا بأن الله سخره ... للناس يحييهم دينا ويحيينا
أقام فينا ولم يبغ الظهور ولم ... يرد مدائح منا حيث يوصينا
وكان يغضبه مدح العباد له ... خوفا من الله حتى عاش مكنونا
تحمل الناس فى كل الظروف فلم ... يفه بنقص ولم يغضب مريدينا
وسامح الكل فى سرٍّ وفى علن ... فما رأيناه وقت الغيظ محزونا
وعاش فينا سنى فضل وتكرمة ... حتى وفت سنه بضعا وسبعينا
وقابل الله موفور الكرامة فى ... ذى القعدة المرتضى عزا وتمكينا
يارحمة الله صبى الغيث واكتنفى ... ضريحه رفعة بين المفاضينا
إن مات جسمك إن الموت يكتبه ... ربى على كل مخلوق يرى فينا
لا زال ذكرك حيا لا يموت إلى ... يوم القيامة والبارى يناديا
أن أقبلوا تحشروا فى خير منزلة ... مع النبى شفيع الخلق منجينا
وكلنا فى رياض الحق يجمعنا ... رب السماء وبالإسعاد يعلينا
تاريخه لأولى الألباب نكتبه ... عبد السلام بفضل الحق حادينا

١٣٦٣ هـ

كلمتى الختامية

أى أستاذى الجليل :

سلام عليك من قلبى الذى ألقيت به إليك فتعهدته بحكمتك العالية فى السر والعلانية ، ولو أنك كنت تعالجه من داء ظاهر لهان الأمر ، ولكنك نفذت إلى علله الباطنة تستقصيها وتداويها ، وما أكثرها فى مثل قلبى ! ولست أدرى بأى لسان أشكر الله الذى أرسل لى الدواء على يديك ، فلان القلب بعد قسوة ، وذكر الله بعد غفلة .

أقول هذا تحدثا بالنعمة و إشادة بما كان لك من فضل علىّ وعلى الناس :

كم من يد بيضاء قد أسديتها ... تثنى إليك عنان كل وداد
شكر الإله صنائعا أوليتها ... سلكت مع الأرواح فى الأجساد

أما ما كنت فيه أنت من فضل فقد أشرت إلى بعضه ، ولا أدعى أنى وصلت إلى عده ، وحسبى أن يكون ما قلت كاشارة

الإصبع إلى النجم فى سماه فيهتدى بك من أراد أن يتخذ إلى ربه سبيلا .

وأقسم لقد اجتمعت بكثير من ذوى الصلاح والفضل ، فما رأيت فيهم أحدا يوازيك أو يدانيك . وأقسم ما وجدت صفة محمودة فى القرآن إلا وجدتها بارزة فيك ، فالعلم والحلم والصبر والكرم ، والإقدام ، والشمم ، والتسامح ، والوفاء ، والتواضع ، والصفاء ، والتعفف ، والسخاء ، كل هذه كانت من صفاتك الغراء إلى جانب ماحباك الله به من إيمان فذّ بالله وثقة تامة فيه ، واعتماد كلىّ عليه ، واتجاه دائم إليه .

وأشهد بالله ما وجدتك شاكيا من الدنيا مرة على طول عشرتى لك ، بل كنت دائما كما عهدتك الراضى الشاكر .

وأشهد بالله ما وجدتك جازعا من مصيبة ولا متبرما من مكروه ، ولا أنسى ما قلته لى حين مات نجل أخينا المبارك الشيخ على عقل فمدحت لك صبره الجميل « أنا والشيخ على تأتينا المصائب فلا نبرح مكاننا » كما لا أنسى صبرك الرائع على الأمراض

الكثيرة والشديدة التى ابتليت بها فى سنوانك الأخيرة ، والتى لم تدع شبرا فى جسمك إلا أصابته ، ذلك الصبر العجيب الذى أدهش الأطباء أنفسهم حتى قال لنا واحد منهم هذا رجل عجيب لأنه صابر على ألم لايطيقه عشرة رجال . ولا زلت يا سيدى أذكر عبارتك الحلوة الأخاذة التى قلتها لى وأنا إلى جوار سريرك وكنت قد أجريت العملية السادسة فى إنسان عينك حين أطرقت قليلا ورفعت وجهك وخاطبتنى صابرا محتسبا « له الملك وله الحمد عطف سبحانه الحمد على الملك والملك يشمل الخير والشر إشارة منه إلى أنه يجب أن يحمد فى الخير والشر على السواء » ولا زلت أذكر كذلك وصيتك لبعض الإخوان « واعلم أن الصبر على الصبر هو الصبر » .

وأذكر ياسيدى أنك كنت تنكر ذاتك وتحاول أن تخفيها فلا يزيدها الله بهذا إلا رفعة وظهورا رحمة منه بعباده ، لأن الاتصال بمثلك رزق يسوقه الله للمؤمنين . فكم هدى بك إلى الرشد وكم زاد بك اليقين .

إن كنت تكبر أن تختال فى بشر فإن قدرك فى الأقدار يختال
كأنّ نفسك لا ترضاك صاحبها إلا وأنت على المفضال مفضال

أما فطنتك الكبيرة وأحاسيسك الرقيقة فما زالت موضع الإعجاب منا ، إذ لم تنقص الشيخوخة والأمراض منها شيئا ، وهل لفطنتك من شاهد أبلغ من أنك بقيت سنوات تدبر أمر الدين والدنيا معا ، وتشير على الإخوان بما ترى وأنت على فراش المرض ؟ وإن ننس فلا ننسى ذلك القانون الذى ربطت به بين الإخوان قبل أن تبارح الدنيا بشهور ثلاثة ، وكأنك كنت تعتزم الرحيل فتركت لبنيك الوصية وأشرفت بنفسك على اختيار اللجان ، ودافعت عن الوصية بالقلم واللسان والجنان ، حتى استقرت على تقوى الله وعلى مبدإ الشورى بين الإخوان ، فما أبرك الوصية وما أبر الإخون . وها هى ذى روحك الطاهرة تخالط أرواحنا فاستخبرها الحال وأحفها السؤال .

ولقد انتهت بنا الشورى يا سيدى إلى اختيار ابنك المبارك

السيد أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى لحمل لواء الإخوان ، فجمعنا الله به على الهدى ببركة رضاك عنه وعنا .

إنما المجد ما بنى والد الصدق وأحيا فعاله المولود

وهاهو يمضى بالطريق قدما إلى الأمام ، ونحن جميعا على أثره والسلام على سيدى الأستاذ فى عليين ، والحمد لله رب العالمين .

ابنك

حسن كامل الملطاوى

وقد جاءنا رسائل كثيرة من الإخوان لانستطيع نشرها كلها ولـكننا ننشر شيئا منها .

وإليك كلمة الأستاذ خالدعبد المجيد الشباسى المدرس بالمدارس الأميرية .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه ومن والاه .

وبعد : فإنى لم أعلم بأن إخوانى «جماعة الإخوان الخليلية» يقومون بطبع كتاب : «المربى فى السيرة الحلوانية» إلاوالـكتاب مائل للطبع ، فأحببت ألا أُحرَم شرف الـكتابة فى هذه السيرة الطاهرة النقية ، فـكتبت هذه العجالة التى لا تطفئ غلة ، ولـكنها رمز الحب والإخلاص والتقدير لحضرة سيدى وأستاذى صاحب السيرة الشريفة .

ولئن كتبت « وفى الوقت متسع » لما كفتنى مجلدات ،

ولـكن الوقت ضيق ، والوقت لايسمح بالسبح فى هـــذا المحيط الخضمّ .

ومن أجل هذا سوف لا أتحدث عن كيفية اتصالى بأستاذى وعن نسبه الطاهر ، وعترته الطيبة ، وعن أخلاقه السامية ، وصفاته العالية ، وعن جهاده وتضحياته فى سبيل الله ، وعن علمه وأدبه وكتبه ، وعن أذكاره وأوراده ، وعن كراماته العامة ، وعمن نالتهم نفحاته ، وعمتهم خيراته ، وعن معاملته لأبنائه فى الله ، وتربيته لأرواحهم ، وحدبه عليهم ، وعن مدده الروحى على القرب والبعد ، إلى غير ذلك ؛ فكل موضوع من هـذه الموضوعات يحتاج إلى كتاب .

بل إنى سأكتب عن ناحية واحدة روحية تتصل بشخصى الضعيف ، ولا يعلمها إلا ربى وأنا أو من كان معى ، وسأوجز فيها غاية الإيجاز فاسمع يا رعاك الله !:

(١) سافرت إلى القاهرة ، وصحبتى أخى الأستاذ « محمد أفندى على السيد نصار » المدرس بمدرســة المعلمين الأولية

بينى سويف الآن ، وكانت لى مسألة هامة ، وله مسألة هامة ، ودعت ظروف السعى والتنقل إلى أن قصدنا حى العباسية ، ولما أردنا أن نعود إلى حيث ابتدأنا .

قلت لأخى نصار : ألا أدلك على خير عظيم ؟

قال : بلى .

قلت : تزور معى أستاذى ومربى روحى « السيد أحمد عبد السلام الحلوانى بشبرا » .

قال : إنى لا أعرفه ذاتا ، ولكنى أسمع به ولا أود أن أزور من لا أعرفه :

قلت : فزره من أجلى .

قال : ولا من أجلك ؛ لأن زيارتى إياه معك نوع من التطفل ، والتطفل يزرى بالكرامة ، والكرامة فوق الصداقة

قلت : فزره لله !

قال : حبا وكرامة .

امتطينا الترام ، وودت لو يكون الترام طائرة ، بل لو كان

الترام يدرى ما بى من شوق لكان طائرة . بل لو ركبت قلبى الخافق شوقا للقاء أستاذى لكان أسرع من الطائرة . وما كدنا نستضىء بنور أستاذى ، حتى بادرنا أستاذى قبل أن نحييه قائلا: «ما دامت الزيارة لله ، فحاجتكما بإذن الله مقضية» .

وهنا أدع للقارئ ، أن يصور موقفى وموقف أخى نصار ، فإنه لا يستطيع أن يصوره بيان .

(٢) كان يعترينى مرض ذات الجنب ، ومكث يعاودنى أربع سنوات ، ذقت فيها العذاب ألوانا ، وذهبت إلى نطس الأطباء ، وتعاطيت كثيرا من الدواء ، ولم أحصل على الشفاء ؛ فسافرت إلى القاهرة ، وشرفت بزيارة أستاذى ، وأنا بحال من الألم يطير لها ضوء الصباح ، ولم أبح بما بى لأستاذى ولا لغيره ؛ وجلست ليلا فى حلقة الذكر جلسة غير معتادة ، وإذا بأستاذى رضى الله عنه يضع سبابته الكريمة على موضع الداء من كليتى ويديرنى بإصبعه قائلا : اجلس معتدلا فى حلقة الذكر فسكن كل ألم ، وكدت أحلق فى أجواء السماء بجناحين من السرور .

ومضى يوم أو يومان ، وقد لفظت كليتى حصاة فى حجم الزيتونة مسننة كأسنان المنشار ، ويعلم ربى أنى تعاطيت دواء لم يكن من وصف طبيب ، ولا يزيد ثمنه على المليم الواحد ، ولا يبلغ وزنه وحجمه ربع السمسمة ، وصوّره بعد ذلك ما شئت أن تصوره .

وما إن أَرَيْت الطبيب هذه الحصاة ، وشرحت له ما جرى حتى قال :

لقد عمل الله لك عملية جراحية بدون بنج ولا سلاح ، ولأجل أن تتصور مقدار هذه العملية ، ومقدار فضل الله عليك يجب أن تعلم أن هذه الحصاة تقتل جملا .

(٣) تملكنى الوسواس فى الوضوء والغسل والصلاة وأنا طالب فى شرخ الشباب ، واستبد بى على الرغم من إحاطتى التامة بكل أحكام الطهارة والنجاسة ، ولازمنى فى الكبر ، وحاولت التغلب عليه فلم أستطع ، بل ضعفت إرادتى ضعفا لا يقاوم ، وكان الوضوء والغسل والصلاة عذابا لا عبادة ؛ فضقت ذرعا بأمرى ، واتصلت بكثير من العلماء ، فزاد اضطرابى ، ولم أقو على مدافعة الوسواس .

فسافرت إلى القاهرة ، وعثرت على كتاب الفقه على المذاهب الأربعة وذهبت إلى زيارة أستاذى ، ولم أطلعه على حالى ولا على مابى ، فما إن سلمت عليه حتى قال : ما بيدك ؟ قلت : « الفقه على المذاهب الأربعة » .

فأقسم إنه فتح ذلك الكتاب فإذا « كتاب الأنجاس » فقرأ سطراً واحداً ، بصوت مرتفع ، وأغلق الكتاب وناوله إياى .

واستأذنته فى السفر فأذن ، ولم ينقض الأسبوع حتى ذهب الوسواس إلى غير رجعة ؛ وصرت من ذلك الحين طبيب الموسوسين ولم أزل .

(٤) تقدمت أنا وأخى الأستاذ نصار إلى امتحان المسابقة للمدارس الثانوية ، واعتدنا أن نزور كل ليلة حضرة مولانا الحسين رضى الله عنه للتبرك ، ومضت أيام الامتحان الأولى على ما يرام ؛ وفى ليلة ما ، عرضت على أخى نصار أن نزور أستاذنا بشبرا .

فقال : كيف ندع زيارة مولانا الحسين ، ونزور أستاذنا والوقت لايسمح بالزيارتين ؟

قلت : ألست الآن ابن طريق ؟

قال : بلى .

قلت : إن من آداب الطريق ، أن تزور أستاذك فى العهد قبل أن تزور وليا من الأولياء فهو باب الزيارة فهيا بنا نحسن الأدب .

تشرفنا بزيارة أستاذنا و بيدى كتاب ، فسألنى رضوان الله عليه : ما بيدك ؟ قلت : ديوان الحماسة .

قال : أخرج أى صفحة واقرأ فيها ؛ فوجدت شعرا عاهرا فأخرجت صفحة أخرى ؛ قال : لم غيرت الصفحة ؟

قلت : وجدت شعرا فاجرا .

قال : ولم لم تقرأ ؟

قلت : حياء .

قال : لا عليك ! اقرأ ما تجد .

فقرأت . ثم تناول الكتاب بيده الكريمة ، وقرأ سطرا وأغلق الكتاب .

وفى الغد : جاء الامتحان أقسى ما يكون . وحرت وحار أخى نصار، وخرجنا ساخطين على الامتحان ، وواضع الامتحان وعن الإجابة فى الامتحان .

وقال أخى نصار : آرضاك العمل بآداب الطريق ، أنحرم زيارة مولانا الحسين عملا بآداب الطريق ، وكانت زوبعة فى فنجانة انقلبت سرورا ، ثم كانت درجاتنا فى يوم الثورة بعد ظهور النتيجة أعلى درجات المواد .

(٥) زرت أنا وأخى نصار أستاذنا بشبرا ؛ وبينا نستمتع بحديثه العذب ، وصوته المشجى ، عبث الشيطان بنفسى وأنسانى كرامات أستاذى .

فقلت فى نفسى : ما لأستاذى اليوم لاتظهر على يديه خوارق للعادات عامة ، كالتى كانت تظهر على يديه فى شرخ الشباب ، وكالتى كنا نسمع بها من أنه وجد فى بلدين متباعدين فى حلقتى ذكر فى وقت واحد ، وشهد بذلك العدول والصادقون من الإخوان ؟

وإذا بأستاذى يقول على الفور : يا بنى لقد كنت فى ريعان الفتوّة أنادى الشخص باسمه وأنا لا أعرفه فيجيبنى ، ويكون اسمه كما ناديته .

ولقد كنت أرى بيوت أبنائى فى الطريق على ما هى عليه من بناء وأثاث ، وما هى فيه من شوارع وحارات ، فإذا دعونى للزيارة ولبيت الدعوة أنبأتهم أنى دخلت هذا البيت من قبل هذه المرة ؛ فيحلفون بالله إنى ما دخلته إلا هذه المرة ، والبيت هو البيت الذى رأيته والأثاث هو الأثاث والشارع هو الشارع والحارة هى الحارة .

واليوم يا بنى لا أرى شيئا من ذلك ؛ بل إنى أسأل الشخص عن اسمه فيذكره لى ، وبعد مدة أسأله مرة ثانية وثالثة ورابعة ، ولا أدرى لذلك من سبب .

فأسقط فى يدى ، وأدركت على الفور خطئى ، وقلت : يا عمى إن ما حصل منك سابقا لاداعى له الآن ، وأكنت

فى نفسى أنه الآن فى مقام أكبر من ذلك ، وأن ما نراه منه ومن أحواله أجلّ بكثير مما كنا نسمع عنه .

فضحك رضوان الله عليه ضحكات عالية متواصلة لم أسمعه فى حياتى ضحك مثلها .

وقلت لأخى نصار :

أتدرى لم ذكر أستاذنا ما ذكر من غير مناسبة ونحن فى حضرته ؟

قال : كلا .

فذكرت له ما دار بنفسى ، وأن ضحك أستاذى هو لحسن تخلصى من المأزق الحرج الذى وقعت فيه .

فقال أخي نصار : ما أخبث شيطانك « إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً » وإن رد أستاذنا عليك لمن أكبر الكرامات .

(٦) كانت عندى أزمة نفسية شديدة تكاد تمزق صدرى ، ولقد طال عليها العهد فشكوت ما بى إلى أخى الأستاذ الشيخ عبد المنعم جمال الدين وكنا بطنطا وكان معنا أستاذنا ، فقال الأخ:

اشرح أمرك إلى أستاذنا ينصرف كل شيء بإذن الله ، فلقد اعتدنا إذا حز بنا أمر أن نذكره له ، فكان الفرج يأتى بإذن الله سريعا.

ومكثت مع أستاذى بقية النهار وأكثر الليل وقابلته فى الصباح ولم يكلمنى كلمة واحدة ، وأناخجل أن أذكر له مابى، وتركته رضوان الله عليه فى الحجرة وذهبت لأتوضأ ، فتردد فى نفسى وأنا أتوضأ باعثان : باعث يدفعنى إلى أن أشكو بثى وحزنى إلى أستاذى ؛ وباعث يمنعنى قائلا : إن أستاذك مثقل بالبلاء فلا تزده بلاء على بلاء ، وإذا كان الله ابتلاك بما أنت فيه فاصبر على هذا البلاء حتى يذهب الله عنك البأس .

وانتصر الباعث الأخير ، وأقسمت بينى وبين نفسى أنى لا أبث إلى أستاذى شيئا حنانا عليه ورضى بالقضاء ، وما إن دخلت حجرة أستاذى حتى قال لى «أهلا بالشيخ خالد الظريف» فهنأنى إخوانى بهذا اللقب الظريف ونظروا إلىّ نظرة العجب ؛ لأنهم لايرون سببا لهذا اللقاء الجميل ، ولا لهذا اللقب الظريف .

ولم أبح بشيء بعد ذلك إلا لأستاذى الأول حضرة عمى الجليل « السيد عبد المنعم الحلوانى » .

فقال: لقد كنت ظريفا حقا فى عملك ، وفى ثباتك ، وردك على نفسك ، وأهنيك بزوال ما عندك .

وقد ذهبت هذه الحالة النفسية التى ضايقتنى أياما وأعواما ، وبعد : فهذا قُلٌّ من كُثْرٍ وغَيضٌ من فَيْضٍ ؛ ولولا ضيق المقام لذكرت الكثير .

ولعلك أدركت مما ذكرت :

أن أستاذى كان طبيب الأرواح ، وكان يداوى كل حالة بما يناسبها من الدواء ، وكان دواؤه سريع الشفاء .

وأنه كان رضوان الله عليه ، يقرأ خواطر أبنائه فى الله ويحسّ إحساسهم ، ويشعر بآلامهم وهى آلامه ، ويحنو عليهم حنوّ المرضعات على الفطيم ، ويحبهم كحب الأبناء من الأصلاب ، بل كان أشد حبا لهم، إذ هو القائل :

« ابن الطريق أغلى من الابن الشقيق » .

ولقد كان رضوان الله عليه له الجاه العظيم عند ربه ، فعاش عزيزاً ، وقابل ربه تقيا نقيا صفيا حبيبا .

وما ذكرته لك هو الذى يتناسب مع شخصى الضعيف ، ومركزى فى الطريق ، وإلا فإن له مع كبار الرجال حالات فوق هذه الحالات بكثير ، ولكل دولة رجال .

فاللهم أفض عليه من سحائب جودك ورحمتك ، وفيضك وحنانك ما به ترضى روحه العالية ، واجزه عنا خير الجزاء ، وانفعنا ببركاته ونفحاته فى الدنيا والآخرة ، وسلام الله ورحمته وبركاته عليك أستاذى فى أعلى جنات الخلد ، ما تنفس صبح ، وبزغ نجم ، وبقى عرش الله .

خالد عبد المجيد الشباسى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الهادى إلى التى هى أقوم ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الرسول الأكرم ، وعلى آله وأصحابه أهل اليقين ، ومن اهتدى بهديهم ، وقام على طريقهم إلى يوم الدين .

وبعد ، فإنى لست أنسى رجلا من أكمل الرجال ، ثبتنى من اضطراب وهدانى من ضلال ، فنفى عنى شوائب الحيرة ، وأهدى إلى قلبى نور الإيمان ، فكان — بحمده تعالى — سبب نجاتى إن شاء الله . شكر الله له صنيعه ، ورفعه إلى مراتب المقرّبين .

ذلك هو شيخى وأستاذى السيد « عبد السلام الحلوانى » رحمه الله رحمة واسعة ، كفاء ماهدى لدينه وجاهد فى سبيله . وأشهد بالله مالقيت رجلا من أسرة الحلوانى — تلك الدوحة الطاهرة المباركة — إلا عرفت فيه حسن السيرة ، وطيب الخلق ، وكرم العنصر ، وقوة الإيمان ؛ فهم أهل تقوى ونقاء ، وكرم ووفاء .

وأكملهم وأقواهم تأثيرا ـ فيمن عرفت ـ هو السيد عبد السلام. لقد كان عذب الروح ، جميل اللقاء ، أنيس المجلس ، حلو الحديث ، قليل الكلام ، كثير الصمت ؛ فإذا تكلم بذّ القائلين. كان يربى الأرواح بألطف ما يكون من الرفق وحسن التدرّج ، فلا يلتوى به القصد ، ولا يصعب عليه المرام . تجلس إليه فيقبل عليك بوجهه وبروحه ، فتنجذب إليه ، وتأنس به ، وتستقى من هديه ، وتقتبس من نوره ، ويعز عليك فراقه ، فتود أن تبقى معه على الدوام . ولكن جليسه يشعر له ـ مع عذوبة روحه ـ بمهابة تغشى النفوس ، وجلال يأخذ بمجامع القلوب .

فكان ـ رفع الله درجته ـ يهدى الحائرين ، ويرشد الضالين ، بحديثه الذى استوفى حظه من إقناع العقول واستمالة القلوب ، وبنظرته المؤدّبة ذات التأثير العجيب ، وبنور الإخلاص الذى يشعُّ من جبينه ، وتكاد تلمسه فى نبرات صوته ، وبالقدوة الحسنة فى أفعاله ، وبحسن السمت فى جميع أحواله .

لا يغضب ، ولا يصخب ، ولا يضجر ، ولا يعتب ؛ بل هو بطل واسع

الصدر ، كثير الاحتمال ، وأقوى ما كان ذلك فى مرض موته ، فقد كان يحدث عواده ويؤنسهم ، حتى لقد ينسون أن مرض محدثهم تنوء به الجبال الراسيات ؛ ومن ذلك تدرك مبلغ ما أنفق من ماله ومن أعصابه ، ومن ذات نفسه فى ذات الله ، مع حسن الصبر وجميل الاحتساب .

وكنت ترى حوله الأبطال من كملة الرجال : أمثال السيد عبد المنعم الحلوانى ، والشيخ على عقل ، والشيخ محمد حواس ، والسيد حسن كامل ، وحسن أفندى العنانى — ولكل منهم نوره الوضاء ، ومزيته الباهرة — فتغيب عنك أنوارهم ، وتخفى مزاياهم .

ومن أوضح مزاياه فى الدين :

(١) أن مجلسه كان حافلا بالمسائل الدينية والصوفية ، فإذا جد الجد أورد النص المؤيد لرأيه من الكتاب أو السنة ، كأنما كان على طرف لسانه ؛ فترى الشاهد حاضرا مسعفا فى الوقت الملائم ، مع أنه ليس من أهل الحفظ والرواية المتفرغين لها .

(٢) وأنه كان يحب العمل ويراه حيلة الرجل، ويكره التعطل والبطالة ؛ ويسعى ما استطاع فى تدبير العمل المناسب لمن أدركه تعطل فى بعض الأيام .

ولا أزال أذكر بالفضل، وعظيم الشكر حضرة الشيخ محمد نور الدين الخياط ببور سعيد ، فهو صاحب اليد البيضاء ، فى وصولى إلى هذا الشيخ الجليل، الذى له أعمق الأثر فى حياتى؛ فقد أصابتنى نازلة شديدة ، غشيتنى بسببها يأس عنيف ، كاد يهلك نفسى ، ويزعزع إيمانى ؛ فكان من فضل الله علىَّ أن هدانى على يد هذا السيد الكامل ؛ فتناول نفسى برفق وصبر عجيب ، وما زال بها حتى استقادت وزال نفارها ، واستقامت على الطريقة ، وأشرق عليها نور الحقيقة .

فجزاه الله عنى وعن أمثالى خير ما يجزى عباده الصالحين ، ورضى الله عنه وعن شيخنا الجليل الحاج « محمد أبى خليل » وحشرنا فى زمرة المفلحين تحت لواء سيد المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، ماعبده عابد وهدى إلى طريقه أحد الهداة .

المتولى قاسم
المدرس بالمدارس الثانوية
دمياط الأميرية

عزيزى وأخى الفاضل حسن بك كامل الملطاوى .

السلام عليكم ورحمة الله. وبعد فقد قرأت كتابك «المربى» وأنعم به من كتاب، صدر من قلب شرح الله سواد عينه للإسلام، وكل ما فى الكتاب حق ؛ وهو وإن كان قطرة من بحر ، فيعطى القارئ صورة عن سيرة السلف وعن التصوف المراد عند أهله « ويكفى من القلادة مايزين الجيد » .

وكنت أحب أن أكتب عليه تعليقات لشرح بعض مافيه، ولكنى رأيت أن لايزيد عليه كلام سوى كلامك لتكون نفثاتك صافية لايشوبها نفثات غيرك، فكتابة الإلهام ، سوى كتابة العلماء فالأولى وارد الصدور، والثانية خاصة بالسطور، وشتان بين الحالتين.

ومن أراد أن يقتفى الأثر وتكون له الأسوة فليتبع مافيه ، وليخرج من قلبه خافيه ، ليكون كتابك كرسالة الإمام القشيرى، وكل مابعدها من التصوف مركب منها ومستقى من موردها . فحسبك عملك هذا وأنه من الكتب القيمة التى ظهرت بعد انتقال السيد المبارك الأستاذ الكامل الشيخ «عبد السلام الحلوانى» رحمه الله

برحمته الواسعة ؛ وأرجو الله تعالى أن ينفعنى و إخوانى بكتابك والسلام .

الأربعاء ١٣٦٥/١٢/١٢
١٩٤٦/١١/٦

عبد الرحيم ابرهيم السمنودى
شيخ علماء الملايو وعميد كلية أصول الدين

أخى الجليل الأستاذ حسن كامل .

أنصح من لم يقرأ كتابك بالاطلاع على صفحة واحدة منه، وأنا موقن أن أوله سيدفعه إلى آخره ، وأن آخره سيشوّقه إلى أوله، ولن يستطيع الفكاك من أسر سحره إلا بأعجوبة ؛ عبارته سهلة ممتنعة ، ومعانيه شيقة متنوعة ، وموضوعه هو الوفاء بعينه .

اطلعت على كتابك بعين الأخوّة لا بعين الرضا ، وشتان ما بين النظرتين ، فالرضا يغطى العيوب ، والأخوة تقتضى قول الحق ، وترغم على الصراحة ـ و إن الناقد لأجدى على المؤلف من المادح ، و بهذه العين وجدتك كعهدى بك : حلو البيان ، قوى التعبير ، يجتاز كلامك الآذان إلى الأفئدة فيستقر فيها ، لخروجه من قلب صاف مخلص طاهر ، ولانبعاثه عن إيمان عميق.

وإن كل ماآخذه على كتابك هو الإيجاز كل الإيجاز ؛ فلقد سَعِدْتَ بمصاحبة من ترجمت له ؛ وعنه أخذت العهد، وتقبلت مبادئ الطريق ، وألممت بكثير من (إن لم يكن كل) عاداته ، ومذهبه، وطريق تعبده ، ومعاملته أتباعه ، وأنا وأشباهى لم نحظ بذلك ، فكان من حقنا عليك ،أن تترك نفسك على سجيتها من الإفاضة وألا تكبح قلمك ، ولا تغل بيانك ، وأن ترسم لنا صورة صادقة تجعلنا كأنما عاصرنا الشيخ (طيب الله ثراه) ، ونعمنا بلقائه ، وتمتعنا بالتلقى عنه .

ويظهر أنك ظننت أن قارئيك يجارونك فى الذكاء والفطنة ، فعمدت إلى مبدإ« كل لبيب بالإشارة يفهم» أو أن الغلاء قاتله الله (غلاء الورق والطبع) قد حال بينك وبين ما كنت تريد . السيد عبدالسلام الحلوانى(على بساطة الشذرات التى وصلتنى عنه) لايكفى للتعريف به مجلدات، فأرجو أن يكون كتابك هذا رائداً لما سيتلوه من كتب ، فالحق أنا لفى ظمأ شديد ، ومن ذا ينقعه

ويصده إن لم تنبر أنت له ، ثم يقفو أثرك نظراؤك ممن أفاض الله عليهم نعمة الاطلاع ، وسيولة القلم ، وخفة الروح ، والوفاء الجم .

وإن العصر الذى تنفث فيه المطابع قاتل سمومها ، لأحوج مايكون إلى إذاعة أخبار الصالحين، ونشرسير المتصوفين ،تنفيذاً لقوله جل شأنه : « وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ » .

كان الله فى عونك ، وأكثرمن أمثالك ، وجزاك عنا وعن الإسلام أحسن الجزاء .

أخوك

ذو الفقار مهر الله

المدرس بالتربية النسوية للبنين بباب اللوق

فهـــرس

الموضوع	الصحيفة
تقديم الكتاب	٣
مقدمة	١٥
١ — مامعنى الصوفية ومتى وكيف نشأت ؟	١٩
٢ — م اشتق اسم الصوفية ؟	٢٢
٣ — ماهى غاية الصوفية ؟	٢٣
٤ — ماهى قواعد التصوف ؟	٢٤
٥ — سبيل الصوفية فى نشر مبادئهم	٣٨
(ا) التواصى بالحق	٣٨
(ب) البيعة	
(ج) الصحبة	٤٠
(د) ذكر الله تعالى بأسمائه الحسنى	٤٨
٦ — كيف تختار أستاذك ؟	٥١
٧ — من هو أستاذى؟	٥٤
(هـ) كيف اتصلت به ؟	٦٦
(و) شىء من وصفه وسجاياه	٧٣

الموضوع	الصحيفة
(ز) أسلوبه ورسائله	٨٧
من كلامه رضى الله عنه فى الروح وتدرجها فى الترقى	١١١
« « « « « فى النفس وتراجعها	١١٣
مختارات من بعض ما كتب للإخوان	١٢٦
وصيته لوالد	١٣٣
وكتب لبعض أحبابه	١٣٤
رثاؤه رضى الله عنه لأحد تلاميذه	١٣٧
(ح) كراماته	١٣٩
مراثيه	١٤٣
كلمة الأستاذ حسن الملطاوى الختامية	١٤٨
« الأستاذ خالد عبد المجيد الشباسى	١٥٣
« « المتولى قاسم	١٦٦
« فضيلة الأستاذ عبدالرحيم إبراهيم السمنودى شيخ علماء الملايو وعميد كلية أصول الدين	١٧٠
كلمة الأستاذ ذوالفقار مهران	١٧١

التصويب

صحيفة	سطر	خطأ	صواب
٦	١	كرهت نفسه	كرمت نفسه
٨	١٠	ياأ أيها	يـأيها
٦٠	١٥	المفاجأة	المناجاة
١٢٤	١٤	لاتنفذ	لاتنفد

و إذا فات شيء بعد ذلك فإنه لايخفى على اللبيب .

قريباً يظهر :

الايمان والروح

تأليف

أحمد عبد المنعم عبد السلام الحلوانى

بحث مستفيض ، وتحليل علمى ، وتصوير دينى للمدارج الإيمانية ، وأحوال الروح فى الحياة ، وبعد الممات ، والرد على علماء تحضير الأرواح بالمنطق الواضح ، والبرهان الساطع مؤيداً بالقرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف ، يفتح لك أنوار القدس الطاهر . . .

LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

Princeton University Library
32101 072565383